16 ème Année No. 774

Lundi — 8 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٣ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من علامات الساعة...!

من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى فيحمل سلاحاً ويشهد حرباً ويحرز نصراً ويحتل مدينة ! !

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك إلى الثكنة ، ومن الدكان إلى الميدان ، ليحارب العرب على فلسطين ، ويثأر للفرنج من صلاح الدين ! !

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب فى حيفا ، وعلم يرفرف على المسجد فى يافا ، ودولة تريد أن تقوم فى القدس ! !

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الأمريكان وخديعة الانجليز وشيوعية الروس ؛ فإن الثعلب بحسبه أن يشم ريح الأسد من بعيد ليُجحجر ، وإن الفأر بحسبه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط !

يا لله ماذا نرى ؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين فى البر والبحر ؛ يلتمسون فى الشام المأوى ، ويطلبون فى مصر الأمن ، وأهلوهم مصرّعون على ثرى الوطن الحبيب السليب بعد أن قذفوا فى صدر العدو آخر رصاصة ، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرة ، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق !

يا لله ماذا نسمع ؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا ، وأن راية صهيون تخفق على مسجد (حسن بك) ، وأن بنى إسرائيل يذبّحون الأبناء ويستحيون النساء فى دير ياسين !

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب ، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد ! !

ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود ، وماذا جرى حتى استنوق الجمل يا عرب ؟ ! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول ، ويجدّون ونحن نهزل ، ويبذلون ونحن نبخل ، ويتعاونون ونحن نتخاذل ، ويتكلون ونحن نتواكل !

للجامعة العربية فى كل شهر مؤتمر ، وفى كل أسبوع مجتمع ، وفى كل يوم قرار ، وفى كل ساعة تصريح ، وفى كل دقيقة خطبة ؛ وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين اليهوديين أمواتاً لا تدفع سيارة ، ولا ترفع طائرة ، ولا تحشو مدفعاً ، ولا تملأ بطناً ، ولا تبعث قوة . فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض ، فإذا الأول واقف لأن رومان لم يتقدم ، وإذا الثانى ساكت لأن بيفن لم يتكلم ، وإذا الثالث مترجح لأن الآخرين لم يستقروا على رأى !

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة وآراء متضاربة وقوى متفرقة ؛ فكنا نجد عذرنا فى هذا الانقسام ، ونعزو فشلنا إلى هذه الفرقة ، ونهدد خصمنا بأن فى جمعتنا الخلاص منه ، وفى وحدتنا القضاء عليه ؛ فما أذن الله لأوطاننا أن تتصل ، ولدولنا أن تتحد ، ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ماوراء العربى إذا تجمع شمله ، وما غناء الإسلام إذا تجدد حبله

(البقية على الصفحة التالية)

الصحافة فى الميثاق الصهيونى

للأســـتاذ نقولا الحداد

قرأت أخيراً أن فى العراق حركة صحفية هائلة ؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد جديدة عديدة ، وأنبئنا بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها . وإذا كان اليهود قد مدوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا فى مصر أكثر من هذا وأجهر . عندنا هنا أربع جرائد أفرنجية صهيونية ، ومجلة عربية شهرية . وفى كل جريدة من جرائدنا المحلية العربية صهيونى أو أكثر يسيطر عليها لقاء خدمة اقتصادية هى استجداء الإعلانات لها من أرباب المصالح اليهودية عن يد شركة الإعلانات الشرقية وهى صهيونية

وقيل لنا بالأمس إن إحدى جرائدنا الكبرى قد باعت ٤٩ بالمئة من قيمتها لشركة الإعلانات الشرقية ، وما بقى منها إلا اثنان بالمئة لكى تتحول السيطرة القانونية عليها إلى الشركة المذكورة ، ولكن الشركة لا تعجز عن الحصول عليها بأية الطرق ، فيصبح عنق تلك الجريدة الموقرة تحت نير الصهيونية تفلح به الدعاية الصهيونية على كيفها . ثم ما لبثنا أن قيل لنا إن الجريدة نفسها اشترت الشركة كلها . ثم قيل لنا إن الجريدة والشركة اندمجتا معاً فى شركة واحدة ، ولا اعتبار لأى الفريقين أثقل يداً فى الشركة المزدوجة ، لأن الموظفين الذين كانوا يديرون الحركة فى شركة الإعلانات لا يزالون فيها وكلهم يهود . فهى شركة محايدة صورياً وصهيونية فعلا . كل هذا لا يهمنا كثيراً إلا أننا نعلم أن الصهيونيين بسطوا يدهم على رأس الصحافة العربية المصرية . حدث هذا فى الوقت الذى نسخط فيه على الصحافة الأميركية التى أصبحت تحت سلطان الصهيونيين وصار الرأى العام الأميركى للمئة وخمسة وثلاثين مليوناً من الأميركان بقيادة الصهيونيين . فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيونى تتغلغل فى الرأى العام العربى أصبح العرب خضماً وسجداً عقلا وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيونى

وإليك الميثاق الثانى عشر من برنامج الصهيونيين فى الصحافة :

البند الأول : إن كلمة « حرية » التى تفسر تفسيرات مختلفة نحن نفسرها هكذا :

البند ٢ — الحرية هى أن يكون لك الحق أن تفعل ما يخوله لك القانون . إن هذا التفسير يكون فى أكثر الأحيان العادية خادماً لنا لأن القانون فى يدنا بل نحن القانون . القانون ينفى أو يثبت ما نحن راغبون فيه طبقاً لبرنامجنا . فإذاً الحرية بأى معنى تكون فى يدنا .

البند ٣ — تستخدم الصحافة هكذا :

ما هو الدور الذى تلعبه الصحافة اليوم ؟ الصحافة تثير العواطف التى تقتضيها غايتنا ، وتهيج الإحساسات التى تخدم أنانية الأحزاب وغاياتها . والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا تخدم الصحافة من الأغراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة . نحن نسرج الشعب ونلقى على ظهره البرذعة — وكذا تفعل بحاصلات المطابع والصحافة . وإلا فكيف نرد هجمات الصحافة إذا كنا أهدافاً للكتب والرسالات التى تهاجمنا ؟ إن نتاج الدعايات التى تستوجب النفقات الثقيلة بسبب ضرورة الرقابة عليها ستكون مورداً كبيراً لدولتنا لأننا سنفرض عليها ضريبة طوابع خاصة ونطلب من أصحابها ضمانات مالية قبل أن تصدر ، ورخصة لكل صحيفة ومطبعة ، وهذا الإجراء يكون ضمانة لحكومتنا ضد كل هجوم عليها من قبل الصحافة والطباعة . لأننا فى محاولة كل هجوم نضرب غرامة ثقيلة بلا رحمة ولا شفقة . ولا يخفى أن الأحزاب لا تبخل على الجرائد بالنفقات اللازمة لها لأجل الدعاية . وإنما يمكننا أن نثقل أفواه هذه الدعايات ضدنا عند ثانى هجوم تهجمه علينا ؛ وذلك بمعاقبتها بالغرامة الثقيلة

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار وامتحان الشدائد ؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة ، وإذا ثبت معدتها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة .

إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة ؛ فإذا كسبناها كسبنا كل ما نبغى ، وإذا خسرناها خسرنا كل ما نملك . ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة فى فلسطين إلا على عمد من الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية . وأيًّا ما تكن هذه العمد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعية ، وإنها الاستعمار والاستئثار والبلوى إذا كانت رأسمالية .

أحمد حسن الزيات

لا أحد يجرأ أن يضع أصبعه على فم معصومية حكومتنا ، وعندنا عذر لإغلاق أية جريدة أو مطبعة ، وهي أننا ندعي أن الجريدة تقلق الرأى العام وتهيجه بلا مبرر .

(يقول خطيب جلسة الحكماء) — أرجو أن تلاحظوا أن يكون لهؤلاء المهاجين لنا محررون لجرائد نحن أنشأناها ولكنها لا تهاجم إلا نقطاً فى سياستنا وإجراآتنا . كنا قبلا قد قررنا تنقيحها وتغييرها ، فكأنها تهاجم الريح .

البند ٤ — لا يذاع على الجمهور أية إذاعة إلا بإرادتنا وتحت سيطرتنا . إن الأنباء والمنشورات حتى اليوم هى تحت سيطرتنا ، لأن جميع أنباء العالم مركزة فى مراكز خاصة تتهافت إليها الأخبار من جميع أقاصى الأرض وتتوزع منها إلى جميع أنحاء العالم ، وجميع وكالات هذه المراكز فى أيدينا فتذيع ما نمليه نحن عليها .

(يمكنك أن تقول إن هذا هو الحاصل اليوم) .

البند ٦ — فلنوجه الآن أنظارنا إلى مستقبل الصحافة : كل من يرغب أن يكون ناشراً أو كاتباً أو طابعاً يجب أن يكون حاصلا على دبلوم من جامعة أو مدرسة مختصة بتخريج الناشرين والكتاب . وبحسب قانون هذا الدبلوم يمنع الناشر من النشر عند أول خطأ يرتكبه . هذه التدابير تكون وسيلة ثقافية فى أيدى حكومتنا التى لا تسمح للجمهور أن يقاد فى غير الطريق الذى نرسمه نحن إلى بركات النجاح . هل يوجد واحد منا يجهل أن هذه البركات الخيالية هى السبيل المؤدى رأساً إلى المتخيلات التى تلد علائق الفوضوية بين الناس وبينهم وبين الحكومة ؛ لأن الرق أو تصور الرق يدخل إلى الحكومة فكرة التحرير ، ولكنه يعجز عن إقامة حدود للتحرر ، وجميع الذين يدعون أنهم أحرار هم فوضويون ولو بالفكر ، وكل واحد منهم يحاول أن يتصيد طيف الحرية ، ويقع فى فوضى الاحتجاج على تقييد الحرية لا لغرض سوى حب الاحتجاج لا لأجل التحرير .

البند ٧ — نأتى الآن إلى المطبوعات الدورية . فهذه سنفرض عليها وعلى كل مطبوعة ضرائب بوضع طوابع على كل صفحة ، ونفرض أيضاً ضمانة مالية . والكتب التى تقل عن ٣٠ صفحة تضاعف الضريبة عليها ونعتبرها كراريس ؛ أولا لكى يقل عدد الكراريس والمجلات التى هى أردأ المطبوعات السامة . وثانياً لكى يوجب هذا التدبير على الكتاب أن يتوسعوا فى الكتابة وتكون كتبهم كثيرة لكى يتجنبوا عبء الضريبة . فيقل قراؤهم ، وفى الوقت نفسه نجعل مطبوعاتنا التى نؤثر بها على عقلية الجمهور رخيصة فى متناول كل واحد لكى يقرأ بنهم وشوق . لأن الضريبة تقلل الطموح الأدبى وتخور عزيمة الكتاب . وتقل القراءات بجعل أرباب القلم معتمدين علينا ، وإذا قام بعض الكتاب يكتبون ضدنا فلا يجدون من يطبع لهم . وعلى الناشر أو الطابع أن يحصل على إذن للطبع والنشر . وهكذا يتيسر لنا أن نعرف نيات أضدادنا فنصدها ولو بحجج واهية .

البند ٩ — الأدب والصحافة هما أهم القوى الثقافية . ولذلك ستملك حكومتنا أقوى الجرائد والمجلات ، وهذه تخمد أنفاس كل نفوذ لكل صحيفة مستقلة تنشر أموراً ضدنا ، وبالتالى تملك بتأثير جرائدنا كل تأثير على الرأى العام . وإذا منحنا رخصا لعشر جرائد يجب أن يكون لنا ثلاثون جريدة وعلى هذه النسبة تكون الصحف المستقلة . وهذا التدبير لا يثير شهية الشعب ضدنا ، ولا سيما إذا جعلنا بعض الجرائد التى نصدرها معارضة فى الظاهر لنا فتكثر ثقة الشعب بها ، وإنما تكون المعارضة فى السطحيات . ولذلك تقوى ثقة الشعب بنا نحن أيضاً ، وتدفع إلى يدنا الخصوم المعارضين الذين يشتبهون بمقاصدنا ، ويقعون فى فخاخنا ولا ضرر منهم لنا .

البند ١٢ — تكون جرائدنا من كل لون : ارستقراطية جمهورية ثورية حتى فوضوية بحسب مقتضى الحال ؛ ويكون لها يد فى كل رأى عام . فإذا نبض نابض فى إحدى هذه الأيدى المحركة يقود الرأى العام فى اتجاه مقاصدنا . لأن الضعيف المنفعل ينفذ قوة الحكم ويذعن إلى أية إشارة منا . وهؤلاء القوم المغفلون الذين يظنون أنهم مرددون رأى جرائدهم ، يرددون بالفعل الرأى الذى نحن نرغب فيه ، ويظنون عبثاً أنهم يتبعون رأى جرائدهم ولكنهم بالحقيقة سائرون فى ظل رايتنا .

البند ١٤ — إن مهاجمة خصومنا لنا تخدم أغراضنا من جهات أخرى ، وهى أن رعايانا يقتنعون ويعتقدون أنهم حاصلون على ملء الحرية فى الكلام والنشر ، وهكذا يتحول أنصارنا إلى اليقين بأن جميع الجرائد المخالفة لنا ليست إلا فقاقيع فارغة لأنها غير قادرة على أن تجد أثراً جوهرياً فى مخالفتها لآرائنا .

البند ١٥ — إن قواعد التنظيم التى لا تراها أعين الجمهور هى من أضمن الوسائل لكسب ثقة الجمهور إلى جانب حكومتنا .

إن هذه الطرق تجعلنا من حين إلى آخر فى مركز يجعلنا قادرين على أن نثير العقل الاجتماعى أو أن نهدئه فى المسائل السياسية حسب رغبتنا ، فنقنعه أو نشوش عليه أو نضعضعه . فالآن الصدق ، وغداً الكذب . ننشر الحقائق ثم ننشر ما يخالفها ، نفعل هذا حسب مقتضى المصلحة ، نفعله بكل حذر ؛ نجس الأرض قبل أن نضع أقدامنا . سيكون لنا نصر مبين على خصومنا أو معارضينا لأنهم لا يملكون جرائد تستطيع أن تعطى التعبير الصحيح عن آرائهم بسبب خطتنا فى معاملة الصحافة ، ولذلك لا نضطر أن نجحدها إلا جحداً سطحياً وهم يظنون أنهم يتمتعون بحرية الصحافة .

الملخص : النفاق فى مذهب الصهيونيين هو ماح الصحافة وبهارها بل هو « شطتها » أيضاً . هو البهار الذى يشهى القراء للقراءة . فلذلك ترى الجرائد مبتلاة بالأخبار الكاذبة فلا تدرى إن كان الخبر الذى تقرأه صادقاً أو كاذباً ، وشركات الأخبار مبتلاة بسيطرة الصهيونيين عليها كبلوى الجرائد . تقرأ اليوم خبراً فتصدقه لأنه معقول فلا يشعرك بشىء فيه ، ثم لا تلبث أن تقرأ غداً نقيضه أو تكذيباً له . ولا يمكن جمهور القراء أن يشكوا فى صدق ما يقرأون وإلا فلا يصدقون خبراً . لا يمكنهم أن يميزوا بين الخبر الصادق والخبر الكاذب ؛ لأنه ليس فى ما ينشر شبهة تضلل الظن . إن اختلاق الأخبار وتمويجها هو سجية فى الصهيونيين يستغلونها لأغراض شيطانية لا تنكشف إلا بعد حين ، وقد تقرأ خبراً ضد مصلحتهم فلا تلبث أن ترى أنه كاذب ولكنه نفعهم) .

(منذ صارت قضية فلسطين فى هيئة الأمم كانوا يذيعون أن عندهم جيشاً من الهاجاناه يبلغ ٨٠ ألفاً . ولما جاء دور القتال لم يظهر عندهم أكثر من ٨٠٠ جندى . فكانوا كلما وقعوا فى ورطة مع العرب يهرعون إلى الجيش البريطانى لكى ينجدهم . ولما بدت مسألة التقسيم وشعروا أن العرب متحفزون للدفاع أذاعوا أنهم طلبوا من أميركا ٤٧٢ مليون دولار وستأتيهم تواً ، فما أتاهم شىء . ثم أذاعوا أن القائد الكبير فوزى بك القاوقجى قتل فى معركة فاصلة . فما لبث القاوقجى أن أذاع فى الراديو أنه يفقأ حصرمة فى عيونهم . وهكذا لهم كل يوم كتاب من الأكاذيب فى الجرائد والمجلات والأنباء التلغرافية التى فى حوزتهم . فيجب الحذر من قبول الأخبار) .

البند ١٧ يشرح التعليمات للصحافة من حيث ارتباطها بأسرار الماسونية التى لا يباح بها ، وكل صحافى مقيد بأسرارها كأنها أسرار المهنة ، وكل فرد من الصحفيين يخشى أن يبوح بسر لئلا يتهم بفضيحة ، وما من أحد خال من فضيحة .

البند ١٨ — فحواه أنه لا بد من إلهاب عقليات أهل الأقاليم عند ضرورة التأثير فى العاصمة ، ومصدر هذه التهيجات فى كل حال يكون « نحن » على قصد أن الرأى الذى قبل فى العاصمة يكون حائزاً لتأييد الأقاليم .

البند ١٩ — حين نكون فى فترة الانتقال من الحكم القديم إلى حكمنا الجديد أى إلى ما نظفر به من السيادة يجب أن لا نسلم بما نقلته الصحف من خيانة أحد من الشعب . يجب أن يكون نوع الحكم الجديد رضى كل فرد من الناس . يجب أن يرى فيه الشعب أمانيه محققة وأن الاجرام قد زال . ويجب أن يقتصر البلاغ على المجنى عليه والشهود فقط . بمعنى أن لا تنشر الجرائد أخبار الجرائم لكى يقتنع الشعب أن الأمن مستتب تمام الاستتباب

هذا ملخص الميثاق الثانى عشر عن الصحافة ، وإلى الملتقى مع القراء فى حين آخر .

هامش : قرأنا أن معظم عرب حيفا هاجروا إلى سوريا ولبنان ، وفى بعض الروايات أن المهاجرين تجاوزوا الأربعين ألفاً وبعضهم رفع الرقم إلى ثمانين ألفاً . وقد قيل لنا إن بعضهم هاجروا إلى مصر لكى تتحمل مصر تبعتها من هذه النكبة . أليس مؤلماً مفزعاً أن يفرّ أهل الدار منها ، وأن الضيوف المغتصبين يبقون فيها فيستولون على جميع ممتلكات العرب كما فعل بنو إسرائيل يوم « جرجرهم » موسى إلى أرض كنعان فنهبوا فرش الكنعانيين وحللهم وطناجرهم الخ — التاريخ يعيد نفسه . وإذا كانت الدول العربية لا تنقض بكل قواها على تل أبيب من جميع النواحى ، ويد كونها دكاً ليضطروا اليهود أن يخلوا حيفا لكى يأتوا لإنقاذ تل أبيب رغم أنوفهم — إذا لم تفعل الدول العربية كلها هكذا فى وقت واحد استعجل اليهود وغزوا يافا ثم القدس وسائر مدن فلسطين ، ثم انتقلوا إلى عمان فإلى دمشق فإلى بيروت فإلى مصر ، إلى جميع ممالك العالم ، وحينئذ يصح حلم الصهيونيين .

إن ما يتظاهر به اليهود فى حيفا من الإنسانية نحو العرب إنما هو مكر فلا تصدقوه . لا يخرجون عن طبيعتهم ، فحذار منهم !

نقولا الحداد

عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جـــواد على

هذا رجل تقرأ خبره فى كل كتاب من كتب « العقائد والفرق » ، وفى أكثر كتب التاريخ التى تعرضت لموضوع « الفتنة » التى حدثت فى أيام الخليفة « عثمان بن عفان » ، وفى حادث مقتل الخليفة « على بن أبى طالب » فى الكوفة بعد تلك المؤامرة السياسية التى دبرها نفر من المعارضين لسياسة الخليفة وسياسة « معاوية بن أبى سفيان » و « عمرو بن العاص » بطل رواية التحكيم .

وقد وضع الدكتور طه حسين كتاباً سماه « الفتنة الكبرى[1] » بحث فيه عن عصر الخليفة الشهيد « عثمان بن عفان » ، وعن العوامل التى أدت إلى حدوث تلك الفتنة التى فرقت شمل العرب بعد ألفة ، وضعضعت صفوف المسلمين إلى اليوم .

وقد تعرض الدكتور فى الفصل الثالث عشر من كتابه لعبد الله بن سبأ الذى كانت له يد طولى فى هذه الفتنة على رأى جمهور من المؤرخين . وقد ذهب الدكتور إلى أن الرواة المتأخرين قد أكبروا من شأن هذا الرجل وأسرفوا فيه حتى جعل كثير من الرواة القدماء والمتأخرين هذا اليهودى المسلم مصدراً لما كان من الاختلاف ، إلى أن قال :

« ولست أدرى أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ، ولكنى أقطع بأن خطره — إن كان له خطر — ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد فى جميع الأقطار[2] » .

وقد علق على الكتاب جماعة من الكتاب منهم الأستاذ السيد محمود محمد شاكر الذى نشر بحثاً قيماً فى مجلة « الرسالة » عن « الفتنة » ، وعن علاقة « عبد الله بن سبأ » بها[1] ، وقد أنكر على الدكتور رأيه فى هذا اليهودى المسلم ، صاحب الفتنة ، وصاحب تلك الآراء الفاسدة التى رددها ولقنها جماعة من السذج وهم فى صدر الإسلام على مايقوله أصحاب كتب العقائد والتاريخ .

والواقع أن خبر « عبد الله بن سبأ » ، وخبر الفرقة التى استجابت لدعوته ، وخبر الفتنة التى أثارها فى العراق وفى مصر خاصة ، وخبر تلك المقالة المنسوبة إليه ، فى المال وفى الرجعة وفى الوصية ، وفى الغلو فى حب على بن أبى طالب ؛ كل هذه من المسائل التى تحتاج إلى دراسة وبحث ، ورجوع إلى المصادر ، ومقارنة تلك المصادر بعضها ببعض ، وترتيبها ترتيباً زمنياً ، ونقد رجال الرواية ، وفحصها فحصاً دقيقاً حتى يتمكن المؤرخ من الحكم فى هذه القضية حكماً قطعياً ، وما نقوله لم يتم حتى الآن .

وقد لقى موضوع « عبد الله بن سبأ » عناية خاصة من المستشرقين ولا سيما من يهود المستشرقين . وأعتقد أن السبب واضح ؛ فهنالك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب على الإسلام ، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات وبالأحاديث الموضوعة التى نص علماء الحديث على كذبها ، وتتخذها حجة لإثبات أثر اليهودية أو النصرانية فى الإسلام وفى أصول الدين .

ومن جملة أولئك المستشرقين « هربلو » « D Herbelot » و « دى ساسى » « De Sacy » و « فايل » « weil » و « فون كريمر » « Von Kremer » و « دوزى » « Dozy » و « موير » « Muir » و « أوكست ميلر » « August Muller » و « فان فلوتن » « Aan Vloten » و « كريتس » « Crotz » المؤرخ اليهودى المعروف ، و « ولهوزن » « wellhausen » و « هرشفلد » « Hirschfeld » و « هوتسما » « Houtsma » . فى مادة « عبد الله بن سبأ » فى « دائرة المعارف الإسلامية » ، و « اسرائيل فريد لندر » « Israel Friedlaender » ، وقد بحث عن عبد الله بن سبأ بحثاً مفصلا ، وجمع كل ما أمكنه جمعه من الروايات التى وردت فى الكتب العربية عن هذا اليهودى .

---

(١) الدكتور طه حسين . الفتنة الكبرى ١ عثمان . دار المعارف بمصر ١٩٤٧

(٢) الفتنة ص ١٣٢

(١) « الرسالة » العدد ٧٦١ يوم الاثنين ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة والعدد ٧٦٢

ورد خبر عبد الله بن سبأ فى كتب الأدب والتاريخ ، ويرجع أصل هذه الروايات إلى العصر الأموى ، وإلى رواة الكوفة أو البصرة ، أى رواة أهل العراق ، وممن ذكرهم « الجاحظ » المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة وهو أديب كبير صاحب أحاديث لطيفة ، ذكرهم فى كتابه الشهير « البيان والتبيين » فى « كتاب العصا[١] » وقد أخذ روايته عن حباب بن موسى عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جرير بن قيس ، الذى قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المومنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢] . وقد نقل عن الجاحظ جمهور من المصنفين نقلا يمكن معرفته عند مطابقة الروايات ومقارنة بعضها ببعض .

وورد خبر « ابن سبأ » فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ؛ وقد تعرض له فى معرض « الفرق » فقال : « السبأية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال على رب العالمين ، فأحرق على أصحابه بالنار[٣] » .

وقد اعتمد أكثر المؤرخين على رواية أبى جعفر بن جرير الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيه الشهير ، المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[٤] ، وقد اعتمد عليه أكثر المستشرقين كذلك . نقلوا عنه نقلا بالحرف الواحد ، ونقلوا عنه اقتباساً ؛ فممن أخذ عنه ابن مسكويه صاحب كتاب « تجارب الأمم[٥] » ، والمؤرخ المعروف « ابن الأثير » أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى عز الدين صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ[١] ؛ المتوفى سنة ٦٣٠ للهجرة الذى اعتمد على تاريخ الطبرى وضمنه كتابه بعد حذف الأسانيد .

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا على الطبرى عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (١٤٠٦ للميلاد) صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدإ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر[٢] » ، والعالم الشهير المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة (١٤٤٢م[٣]) ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ للهجرة فى كتابه « حسن المحاضرة[٤] » .

أما رواية الطبرى فترجع إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى[٥] ، وسنتحدث عن هذه السلسلة بعد أن ننتهى من ذكر المصادر التى تعرضت لخبر عبد الله بن سبأ .

ونجد فى « العقد الفريد » لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة روايات عن عبد الله بن سبأ وعن أتباعه السبأية الذين قال عنهم : « السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميرى :

قوم غلوا فى علىّ لا أبا لهم ... وأجشموا أنفساً فى حبه تعبا
قالوا هو ابن الإله جل خالقنا ... من أن يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار[٦] » .

وقد ذكر ابن عبد ربه رواية أخرى نسبها إلى الشعبى فى حديث له مع مالك بن معاوية جاء فيها « أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، فانها يهود هذه الأمة ، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم ، وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن السوداء نفاه إلى

(١) البيان والتبيين طبعة حسن السندوبى ج ٣ ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٢٧
(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦
(٣) كتاب « المعارف » ص ٢٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ص ٣٠٠ طبعة أوربا .
(٤) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٢٩٤٢ ج ٥ ص ٦٦ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ومواضع أخرى .
(٥) طبعة Caetani « كيتانى » ج ١ ص ٤٢٨ سنة ١٩٠٩

(١) « الكامل » طبعة مصر ج ٣ ص ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ طبعة « تورنبك » Tornberg ج ٣ ص ١٢١ ومواضع أخرى .
(٢) راجع الجزء الثانى القسم الثانى ص ١٣٩
(٣) خطط طبع بولاق ج ٢ ص ٣٤٣
(٤) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٩
(٥) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٣٩٦٢ ج ٥ ص ٩٨ طبعة مصر
(٦) العقد الفريد طبعة محمد سعيد العريان ج ٢ ص ٢٣٦

الانكليز حلقة الشر المفرغة

للاستاذ محمد البشير الابراهيمي

رئيس تحرير (البصائر) الجزائرية

أيها العرب !

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان منهم يبتدىء الشر وإليهم ينتهي . وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل ، وجنادل مسومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلي ، وطائف يمس ثم يخنس ، ووسوسة تلابس ثم تفارق . ويزيدون عليه بأنهم لا يطاردون بالاستعاذة وتذكر القلب ويقظة الشواعر ، وإنما يطاردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو المواثب ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة في الأعمال ، والإجماع المعقود على كلمة واحدة كـكلمة الإيمان « إن الإنكليز لكم عدو فاتخذوهم عدوا » . يرددها كل عربي بلسانه ، ويجعلها عقيدة جنانه ، وربيطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه .

قد عرفكم أول الإنكليزي فاعيدكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرح شره ، وافتضح مره ، وانكشف لكم ليثه عن الأحساك والأشواك . وقد تمرس بكم فعرف الوالج والخارج من نفوسكم قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحال معادن النفوس منكم قبل أن يحال معادن الأرض من وطنكم ؛ وعجم أمراءكم فوجد أكثرهم من ذلك الصنف الذي تلين أنابيبه للعاجم ، وتدين عروبته للأعاجم .

قد علمتم أنه هو الذي وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لكانت الصهيونية اليوم — كما كانت بالأمس — حلما من الأحلام يستغله (الشطار) ، ويتمال به الأغرار .

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم في قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده ؛ وأن في ظل انتدابه ، وبأسنة حرابه ، حقق صهيون مبادىء حلمه فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف وفقراءكم بالمال حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ، ومهد الأرض بأيديكم ، وشاد المصانع بأيديكم ، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم .

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غالطوكم بالمشروع منها وغير المشروع . ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا في دين الإنكليز ؟

وعلمتم أن بريطانيا هي التي جرت ضرتها البلهاء أمريكا إلى عداوتكم وجرأتها على احتقاركم لتكيدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ؛ وأنها هي التي ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزلام وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويها بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقاتل المعزى ...

يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ! إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد لدغتم من الجحر الإنكليزي مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا . وخدعتم من الجانب الإنكليزي كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا . خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم

الحاذر وابن كروس[1] ... » ، وتجد في رواية ابن عبد ربه شيئاً جديداً لا تجده في الروايات المتقدمة .

وقد سبق أن أوردنا رواية أخرى عن عبد الله بن سبأ نسبت إلى الشعبي كذلك ، وهي رواية الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » غير أنه لم يسمه « عبد الله بن سبأ » بل دعاه « ابن السوداء » ، وتجد في رواية صاحب « العقد الفريد » أن الشعبي قد فرّق بين « عبد الله بن سبأ » وبين « عبد الله بن السوداء » فجعلهما رجلين مختلفين نفى أحدهما إلى « ساباط » ، ونفى الثاني إلى « الحاذر » ، وتجد مثل هذا التفريق في كتب أخرى .

مبارك علي

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١ راجع نفس الرواية في ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٣٤

وكبراءكم ودعاكم إلى موائده الفقار فلبيتم . وما رأى منكم في كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعتابه ، والتملق بأسبابه .

فيا ويحكم ... أكل ذلك لأن الانكليز أغنياء وأنتم فقراء ، أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء . كلا ... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم . وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم فاقطعوا عنهم المددين يضووا ويهزلوا ، واخذلوهم في مواطن الرأي واليأس يتخذلوا ، وعمروا جزيرتكم تخرب جزيرتهم . إن لبدة الأسد هي بعض أسبابه إلى زرع الهيبة في القلوب ؛ ولكن لبدة الأسد البريطاني لبدة مستعارة . فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها الرهبة لأمسى الأسد هزيلا مجرود العنق ممروق الصدر بادي الهزال والسلال .

إن الغنى عمل وتدبير . فلو عملتم لكنتم أغنياء . وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وقطعها عن الشهوات . وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم . وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد

***

هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم ؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم في الماضي ، وكانوا عونا للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد ... إنهم يتطورون لكم على العظائم ؛ وإن في جعبتهم ما في جعبة الحاوي من حيات . وإن في أيديهم عروق الجسم العربي يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا . في أيديهم قضية مصر يساومون بها ويماكسون ، وفي أيديهم قضية السودان يلوحون بها ويماكسون ، وفي أيديهم قضية ليبيا يشاغبون بها ويشاكسون ، وفي قبضتهم شرق الأردن بما فيه ، وما شرق الأردن إلا خيط الخنق وشريط الشنق فتله الإنكليز بأيديهم وأمرؤا على الأيام فتله ، لأمر هم بالغوه إن لم تهبوا وتذبوا ، وفي أيديهم العراق ومنابعه ، واليمن وتوابعه ، ولهم على سوريا ولبنان يد ممنونة ، في طيها مدية مسنونة . وفي أيديهم مفاتيح الجزيرة ، وأسراء الجزيرة ، وقد أعدوا لكل قفل من أقفالها مفتاحاً ، ولكل أمير من أمرائها مقوداً من رغبة أو رهبة . ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة . وفيكم مع ذلك الآذان السامعة ، والهمم الطامعة ، وفي سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمكم ، قدروها تقديرا ، وأوسموها تحليلا وتدبيرا .

إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى في ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم . فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة . وإن هذه النقطة هي أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزي ، كما أنها أعسر امتحان للضمير العربي الذي يتمنى أن يقتتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم . وإن الانكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة . وإنكم — أيها العرب — لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ووطن العرب فوق الأغراض والأشخاص .

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية ، فحركوا في وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا .

لسنا في هذه الكلمة حقائق صريرة ، وأوماءنا إلى قضايا يسوءنا أن نزيد حمأتها مدا . ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ! وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية « من كتم داءه قتله » .

(الجزائر) محمد البشير الابراهيمي

مجلس مديرية القليوبية

يطرح في المناقصة العامة توريد بطاطين صوف وجرادل صاج وتطلب كراسة المناقصة من المجلس بثمن مبلغ خمسين مليما على ورقة تمغة . وآخر ميعاد لقبول العطاءات ظهر يوم ١٨ / ٥ / ١٩٤٨ وفتح المظاريف يوم ١٩ منه الساعة التاسعة أفرنكي صباحاً .

٩٢٥٢

تولستوى الحائر (*)

للأستاذ محمود الخفيف

أتم تولستوى « أنا كارنينا » وقد أصبح فى روسيا أحد رجالها المدودين ، وفى أدبائها فارسهم المعلم ، وأصبح فى أوربا أحد القلة الأفذاذ من أساتذة الفن وأعلامه . وإنه لذو ثراء عريض ، وذو بنين ، يسكن إلى زوجة اختارها لنفسه عن بينة وحب ؛ وهو إلى ذلك يتمتع بالعافية ، وقد وهبه الله جسماً قوياً لا تسكن حيويته ولا تفتر قوته . وإن موهبته الفنية لتمد اليوم أكثر مدها وإن روسيا كلها لتنظر إليه نظرتها إلى أعظم من أنجبت من رجال القلم فى تاريخها ، حتى لقد اغتدى اسمه لها مفخرة قومية ، واغتدت به تباهى بأن صار لها فى أدب الدنيا صفحة مرقومة ومقام معلوم .

ولكنه بين عشية وضحاها ينظر فإذا بهذا كله عنده لا شىء ، وإذا به يشعر أنه شقى لم يذق مثل شقائه أحد أو يعذب عذابه أحد على الرغم مما يحيط به مما يراه الناس من أسباب السعادة والنعيم .

إنه ليتقلب على فراشه إذا جنه الليل مسهد الجفنين . ولقد يئن أنين المحموم بل لقد يجهش فى الظلام كما يجهش الصبى ؛ وإنه ليثب من فراشه فيذرع الحجرة حتى يتنفس الصبح ... وإنه ليجلس إلى مكتبه مطرقاً أو محدقاً فى الفضاء ، لا يفتح كتاباً ولا يرفع قلماً ؛ وإنه ليعتزل زوجته ، ويتكره لأبنائه أو يشيح بوجهه عنهم ؛ وإنه ليدفن وجهه ساعات بين كفيه ؛ وإنه ليسرع ذات مرة إلى بندقية صيده فيبعدها ويغلق من دونها باباً مخافة أن يقتل بها نفسه ؛ وإنه ليترك ما يأتيه من رسائل فى غُلُفها ، ولا يحب أن يلقى أحداً من صحابته ؛ وإن زوجته لتملؤه فرقاً وحزناً حتى لتكاد تذهب نفسها عليه حسرات ؛ وإن أولاده ليعجبون ولكنهم واجمون ..

ماذا دهاه ؟ إن حاله هذه حال من تلقى ضربة فى الظلام تركته يترنح من الألم ، وكلما أوشك أن يفيق أخذه دوار فتركه

يتخبط ويهذى ، لا يدرى متى يعود إليه صوابه ...

ولكن تولستوى لم يتلق الضربة على حين غفلة ، فإنه منذ صدر شبابه تهجس فى نفسه أسئلة عن الحياة ومعناها ، والغرض منها ؛ ولقد رأينا كيف ألحت عليه هذه الأسئلة وهو فى القوقاز وشغلته آماله وأحلامه بالصيت والأسرة السعيدة ؛ كما شغله عمله على تحقيق هذه الآمال ، وعمله فى التعليم والمجلة والزراعة ؛ ولكن تلك الأسئلة كانت تعاوده بين حين وحين ، وهى فى كل مرة أشد إلحاحاً عليه منها فيما سلف ...

وعظم إلحاحها عليه بعد زواجه فقد كان له قبل الزواج بعض ما كان يزيح عن نفسه هواجسها من أمل حلو . فلما بات الأمل حقيقة ماثلة ، التفتت نفسه إلى ما كان يكربها ..

وظهر أثر تلك المخاوف قوياً أثناء كتابته قصتيه الكبيرتين فيما أجراه على ألسنة بيير والبرنس أندرو وليفن ؛ ولقد خاف ليفن أن يقتل نفسه من اليأس لأنه لا يرى فى الحياة إلا العذاب ثم الموت ..

(*) من كتاب تولستوى — يصدر فى منتصف شهر مايو عن دار الرسالة بالقاهرة .

وكان يصل به الحال أحياناً أثناء كتابته « أنا كارينينا » إلى ما يخيفه ويخيف زوجته كما أسلفنا ، حتى لم يعد أكثر من مرة بينه وبين الجنون إلا خطوة ، وما زاده التأمل إلا حيرة ولا دراسته الفلسفة إلا تشاؤماً وضيقاً ...

وواجهته تلك الأسئلة بعد « أنا كارينينا » مواجهة مخيفة وعاد في إلحاح وفي ضيق يقول لنفسه : لماذا ؟ ما وجودي وما الغرض منه ؟ ما هذا الذي يسمى حياة ؟ ولم كانت الحياة ؟. قال في كتابه « اعتراف » يصف هذه الحال « لقد أخذتني الحيرة حتى لا أدري فيم أفكر ؛ فإذا نظرت مثلا فيما عسى أن أعلمه أولادي قلت لنفسي : وفيم هذا ؟ أو إذا فكرت فيما عساه أن ينهض بالفلاحين سألت نفسي : وماذا يعنيني من هذا ؟ أو إذا ذكرت ما عسى أن أكسبه من صيت بما كتبت قلت : سوف تفنى أبعد صيتاً من جوجول أو بوشكين أو شكسبير أو موليير أو من كتاب الدنيا جميعاً ، فما جدوى ذلك ؟ ولم أحر جواباً قط ، وتلح الأسئلة عليَّ حتى ما تقبل ريثاً ؛ فيجب أن تلقى جواباً على الفور ؛ فإن لم أجب عليها صار مستحيلاً عليَّ أن أعيش ... ولكنني لم أجد ما أجيب به ... وأحسست أن ما كنت أضع عليه قدمي قد ذهب هباء ، فليس ثمة ما أقف عليه ؛ وما عشت زماناً عليه قد ولى ، ولم يبق لي شيء . وبلغ بي الحال أن أصبحت أنا الرجل القوي الثري لا أطيق أن أعيش ؛ وصارت تدفعني قوة لا تقاوم لأضع لحياتي حداً على صورة ما . ولست أستطيع القول : إني رغبت أن أقتل نفسي ، فإن القوة التي كانت تنتزعني من الحياة كانت أقوى وأشمل وأوسع مدى من أن تكون مجرد رغبة . لقد كانت قوة شبيهة بتلك التي كانت من قبل تربطني بالحياة ولكن في اتجاه عكسي » .

ويصور لنا حاله بإحدى الخرافات قال : « هناك خرافة شرقية قديمة عن سائح أقبل نحوه وحش هائج في أحد السهول ؛ فلجأ هذا السائح هرباً من الوحش إلى جب ناضب ، ولكنه وجد في قاع الجب ثعباناً قد فغر فاه ليلتقمه ، ولما رأى السائح التعس أنه لا يستطيع أن يصعد من الجب مخافة أن يلتهمه الوحش الثائر وأنه كذلك لا يستطيع النزول إلى قاعه مخافة أن يلتهمه الثعبان ، فقد أمسك بفرع من النبات انبثق من صدع في الحائط وتعلق به ؛ وأحس بالتعب يدب في يديه شيئاً فشيئاً ، وشعر أنه سوف يسلم نفسه عما قليل لا محالة إلى الهلاك الذي يتربص به من فوقه ومن أسفل منه ، ولكنه لن يزال متعلقاً بالغصن ؛ ثم إنه ما لبث أن رأى فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود ، وقد دارا حول ذلك الغصن ، وأخذا يقرضانه ؛ وأيقن السائح أن الغصن لن يلبث حتى يقطع فيسقط هو في فم الثعبان ؛ وبينما يرى ذلك ، ويعلم أنه هالك لا محالة ، إذ يبصر بقطرات من الشهد على بعض أوراق الغصن فيصل إليها بلسانه ويلعقها ... وهكذا أتعلق أنا بغصن الحياة ، وإني لأوقن أن غول الموت يتربص بي وأنه سوف يمزقني كل ممزق . ولست أستطيع أن أدرك لماذا وقعت في مثل هذا العذاب . ولقد حاولت أن ألمق الشهد الذي كانت لي فيه سلوة من قبل ، ولكنني لم أعد أجد في الشهد ما يلذني ؛ وما برح الفأران الأسود والأبيض ، وهما الليل والنهار يقرضان الغصن الذي تعلقت به ، ورأيت الغول في وضوح ، ولم يعد للشهد طعمه الحلو . وليس أمام ناظري إلا الغول الذي لا مهرب منه والفأران ، ولن أستطيع أن أدير عيني عن ذلك ؛ وليس هذا حديث خرافة ، وإنما هو الحق الذي لا ينكر والذي يفطن إليه كل إنسان »

لم يجد تولستوي معنى للحياة ، فما هي إلا عبث ، بل إنها واللاشيء سواء ؛ ذلك ما رجع به من طول تأمله ومن طول قراءته شوبنهور وكانت وغيرهما ، وذلك ما أجاب به عن تلك الأسئلة التي ظلت سنين تلح عليه وتعذب نفسه .

وهذا اللاشيء هو ما أفزعه ، ثم إن انتهاءه إليه بعد طول التفكير هو الضربة التي تلقاها في الظلام والتي تركته يترنح ويصرخ من أعماق نفسه الحائرة : ما هذا ؟ أين أنا ؟ ولم جئت هنا ؟ وإلى أين مصيري ؟

لقد اهتدى البرنس أندور إلى الحب كما اهتدى بيير ، واهتدى ليفن إلى السمو بالروح الخالدة والعزوف عن مطالب الجسد الفاني ، ولكن تولستوي خالقهم لم يهتد إلى شيء ، وظل حاله كما كان حال ليفن قبل هداه حين وصفه بقوله « عند ذلك تبين في جلاء أن كل حي إلى فناء وأنه هو نفسه ليس أمامه ما يتطلع إليه إلا الألم ثم الموت ، ثم الفناء الأبدي ؛ ولذلك استقر رأيه على أنه لن يستطيع بعدُ أن يعيش على هذه الحال ؛ فإما أن يجد تفسيراً للحياة أو فليقتل نفسه »

(البقية في العدد القادم)

محمود الخفيف

مشاهدات مسافر :

٢ ـ ألمانيا بعد الحرب

إلى الدير ....

للدكتور محمد سامي الدهان

هذه « توبنكين » كمهدى بها تحتضن نهر الراين فى فخر وزهو فتتلوى حوله الجمائل والبيوت ، وتداعب شطآنه الأبنية والجسور . ولا تزال بيوتها قائمة فى هندسة غريبة تتوالى صاعدة من السفح إلى القمة فتكسب الجبل الذى تقوم عليه جمالا وجلالا. ولو أتيح لك أن تنظر من القمم حولها إلى المدينة لانبسطت أمامك المدينة الحسناء خلال رقعة من الخضرة والماء فتانة خلابة لم تغير الحرب منها إلا فى بيوت سقطت فأصبحت أكواماً ، وحوانيت خلت من البضاعة فغدت خاوية ، وواجهات للمخازن أقفرت إلا من إعلان كبير عن الكمية من الزبدة والخبز والخضار التى توزع خلال الشهر . ويدهشك أن ترى الألمان وقوفاً فى صفوف متلاحقة أمام كل بائع ، تنتظر فى صبر عجيب نصيبها الضئيل من خبز يناله الألمانى ليومه كله ونأتى عليه فى غداء واحد ؛ وزبدة ينتظرها الألمانى لأسبوع بأجمه ، ونصيب مثلها فى فطور واحد ، ولباس قديم جديد تبعثه عبقرية الفقر والحاجة حياً بعد البلى . ويدهشك كذلك أن ترى نظام المقايضة والمبادلة بين البضائع والحاجيات ، وقد عاد إلى ألمانيا فى القرن العشرين بعد أن دفنته منذ قرون .

لا تزال توبنكين موطن الجامعة يقبل إليها الطلاب الناشئون مشغوفين حريصين ، ويعانون مقاعد المكتبة دءوبين جشعين ، يعملون حتى تضج معدهم الصغيرة بالجوع وأجسادهم الهزيلة من الغذاء . ماتت أفراحهم وحفلاتهم التقليدية حول كئوس الجعة ؛ وخمدت أغانيهم وأهازيجهم فى الشوارع والحفلات ، وتفردت النساء والأطفال بالحدائق والحقول لأن الشباب الألمانى بين العشرين والثلاثين غائب عن الميدان وهو اليوم فى الأسر أو فى القبر .

ولا تجد أكثر ما تجد فى هذه المدينة إلا شيوخاً وعجزة قد استسلموا للكنيسة أكثر أوقاتهم ، أو للبيوت يزرعون حدائقها الصغيرة ، منها يأكلون وعليها يقتاتون . وما هى إلا سياحة قصيرة حتى يمل المسافر النظر والنزهة ، فيستريح إلى صديق ودود يستمع منه الشكوى والحرمان والشجاعة والأسى . ولى فى هذا البلد أصدقاء مستشرقون منهم ليتمان Littemann وفيكتور بور Viktor Burr وفايسفايلر Welrsweiler . أما الأول فما يزال يبتسم فى فلسفة للحياة ، فى أسلوب شرقى ، ويتحدث عن ماضيه فى فلسطين ومصر بلهجة عربية ، ويعتز بطلابه ، وفيهم آنسة تترجم « الأيام » للدكتور طه حسين بك إلى اللغة الألمانية ، وطالب يؤلف رسالة عن « الفيح القدسى فى الفتح القدسى » للعماد الأصفهانى ، وآخر يؤلف عن العامة والأزجال ، يسترشدون برأيه فى بيته أو فى معهد العلوم الشرقية. وهذا وهذا غاصان بالكتب العربية الجليلة النادرة . فمن شاء أن يعود إلى الشرق وهو فى ألمانيا فليقصد الرجل . وأما فيكتور بور فهو قيم المكتبة العامة ، يؤلف عن العرب والبيزنطيين فى أناة ودقة وعلم عرف بها أساتيذه وأجداده وأما الثالث فليس فى المنطقة ، وإنما وقعت الهدنة وكان فى « غوتنجن » فأصبح من نصيب المستعمر الجديد . وحظه فى هذا كحظ المخطوطات العربية سافرت خلال الحرب من أماكنها إلى مخابىء أمينة . فلما انتهت الحرب أصبحت البلد فى دولة ومخطوطاتها فى دولة . فى الجنوب مخطوطات الشمال وفى الغرب مخطوطات الشرق . فى كل منطقة مخطوطات المنطقة الأخرى ، فماذا فى هذه المنطقة من مخطوطات ؟ لعل أصدقائى من المستشرقين لا يعرفون ذلك بل لعلهم لا يسعون إلى هذه المعرفة فى هذه الظروف ...

والألمانى يجهل ما يجرى فى بلاده الآن ، وقد عادت به النكبة قروناً فى ركب الحضارة . فقد انقطعت المواصلات الحسنة أو كادت ، وتباطأ البريد حتى لكأنه معدوم ، فالبرقية من برلين إلى غيرها تقطع أربعة أيام أو ستة ؛ والرسالة تطوى المسافات فتفتحها أيد وتغلقها أيد فى رقابة غربية ، فإذا وصلتك فأنت بها سعيد . فليس عجيباً إذاً أن يجهل الألمان ما فى منطقتهم من خزائن ثمينة ، ذلك لأن الحكومة النازية نقلت أكثر المكتبات إلى مخابىء نائية وأحاطت هذا النقل بالكتمان ، وحرمت إذاعة الخبر ، ليجهل الحلفاء مواطن التحف ، وليجنبوها غاراتهم العنيفة التى اشتدت فى الشهور الأخيرة قبل الانكسار .

واختارت أحد مخابئها هذه القرية ، بين جبال عالية لا تصلها الطائرات فإذا وصلتها لم تنل منها . وليس فى هذه القرية الصغيرة ما يحوى الكنوز ويضم التراث ويكفل المخطوطات إلا حصن واحد جبار هو هذا البناء الكبير بناء الدير . فما من سبيل إذاً إلى بلوغ بعض أمنيتى إلا أن أدخل الدير ...

لبثت يومين كاملين أفكر فى الدير وفى السبيل إلى الدير ، فقد انقطعت الأسباب بين أكثر المدن الكبيرة فكيف نبلغ هذه القرية ، وليس من قطار مباشر يصلنا بها ، وليس من مهاجرين يقصدون إلى الدير ؛ وكيف أقنع من حولى أن ثمة مخطوطات عربية يجب أن أراها ؟ ! جزعت حين عرضت الأمر على أصدقائى من الألمان فضحكوا . إن السكان لا يبلغون المأكل والملبس ، ونحن نفتش عن زينة الحياة وترف العلم ، نحب الكتب القديمة ونعنى بالأوراق الصفراء ، والأشخاص حولنا يتضورون جوعاً ! فما أعجب الدنيا !

استطعت بعد جهد أن أقنع سيارة نقلتى فى شروط قاسية ؛ بعضها أننا سنقطع أياماً فيما يجتازه المسافر من قبل فى ساعات ، والسيارة هى السيارة ، ولكن جهازها اليوم عجيب لا يأكل إلا الخشب وقد تحرم «السائل» النادر هو كذلك . فماج السائق إلى برميل كبير يرمى فيه قطعاً من الخشب تحترق خلال بعض الساعة فإذا الجهاز يؤذن بالحركة وإذا نحن نمضى فى الطريق .

لا أستطيع أن أتصور عواطفى الآن ، ولست أذكر أكان علىّ أن أضحك أم أحزن . فصوت السيارة غريب ، ودخانها الأسود كان يلفح مع الريح وجوهنا ، فنفرح أن السيارة جادة ، وما هى إلا ساعة حتى نهدد بالوقوف لأن المحرك جاع ، فنفرغ بعض الكيس من الخشب ولبعض كذلك فى مرتفعات ساحرة ووديان فتانة ؛ تنسينا هزل الزمان وسخرية الأيام ، وما يصنع الإنسان بالإنسان حتى بلغنا القرية التى نقصد إليها ؛ وإذا القرية لا تعدو عشرات البيوت فى واد جميل عطر ، وإذا بناء الدير يقوم فى عظمة لحراسة الوادى والإشراف على خيراته .

دخلنا سور الدير ، وقرعنا الجرس ؛ فإذا الكاهن البواب يسألنا عن الغرض والغاية ؛ فتولى صديق الكلام ورجا منى أن « ألقى الأب الأول » Pater Prior كما يسمونه فهو رئيس الآباء وراعى الدير . فدخلت حجرة الانتظار بين صور القديسين والصلبان ، ولبثت واقفاً واجماً حتى فتح الباب فإذا الأب المنتظر قد سلخ فى السن ، وعلى عينيه نضارتان سوداوان ، وعلى صدره صليبه الذهبى الكبير المتدلى ، فسارعت إلى الأرض جاثياً على الركبة اليسرى واستلمت يده أقبل عن الخاتم الذى أقبله بشفة مرتجفة وقلب مضطرب لئلا يخونى التمثيل فيكشف أمرى وتبوء مهمتى بالفشل وأعود أدراجى لا ألوى على شىء .

انفرجت أسارير الرجل المحترم ورحب بى وعرف من لهجتى الألمانية أنى غريب وأنى قدمت المنطقة لأزور القرية للمرة الأولى ، وأن ليس فى القرية من سكن آوى إليه . فالفنادق مستشفيات خاصة بجرحى الحرب ، وأنى لاجىء إليه ، وليس من سلطان للاستعمار عليه . فقد وعدت الهدنة بأن تحترم الأديان وبيوت الله ، فهو وحده يحكم القرية والدير ، وإليه هنا المرجع والمآب .

فهم الرجل فى كلمات ، وأجاب فى لطف بالغ ووقار جميل بأن الدير بيت للجميع وأن ما فى الدير ملك لله ، وأنه موكل بصحبتى قيم المكتبة فهو دليلى إلى المخطوطات ، وصديق إلى اكتشاف المخبئات . وقرع الجرس فانحنى كاهن صغير من « الإخوان » ، وانفتل يطلب الأب غالوس Pater Galus وسألنى فى هذه الفترة القصيرة وقد فهم حرمتى للمكان وغربتى بين السكان ليتأكد أنى لست من البروتستانت الكثرة فى ألمانيا ؛ فدبره للكاثوليك وهم قلة فيها يتكاتفون ويتعاونون . ولست أدرى كيف أجبت ، ولست أذكر كيف تكلمت ، وإنما أعرف أن قلبى وقف عن الخفقان لحظة خلت أنى أقضى إثرها ، وإنى أجبت من غير أن أعلم : أجل يا أبى الكبير أجل ! فرجانى فى تبسط جميل أن أصانع الحرية فى طلب ما أريد ، فشكرت له ، وانحنيت على يده ثانية أودعه كما استقبلته لألقى الأب القادم وألقى بين يديه بمقاليد الأمر وماجئت له

وما هى إلا دقائق حتى كنا ننحنى فى الكنيسة أمام المعبد نقدم واجبات التحية فى الاحترام قبل أن يحين العشاء .

ويشاء الله أن تتتابع المراسيم الصعبة فى أقل من ساعة . فالدخول إلى الأكل له نظامه فى الدير . يدخل الآباء واحداً بعد واحد وهم يرتلون ؛ ويتبعهم الإخوان فى أثرهم وهم يرتلون ؛ ثم يدخل ضيوف الدير ، وفيهم ثلاثة طلاب وأستاذان ، وهم كذلك يرتلون ، وأنا ساكت واجم أنظر يمنة وأنظر يسرة فى طرف خفى وقلب وجل ، قبل الدخول ، لئلا أخطىء فى الحركة وأشذ عن هذا النظام الدقيق .

ووقفنا دقائق أمام المائدة ونحن خشوع سكوت ملتفين حول

موائد طويلة ومقاعد من خشب فى قاعة كبيرة استوعبت مئتين من الآباء والإخوان مع ستة من الضيوف جُعلت فى وسط القاعة ، وحولنا من الجهات الأربع سكان الدير ، وقد أخذوا أماكنهم فى نظام عجيب . وتصدر القاعة الأب الكبير ، فلما أذن لنا ارتمينا على مقاعدنا من غير أن نرفع البصر أو نحرك عضواً من الأعضاء نستمع إلى الإنجيل يتلى علينا من منبر عال باللاتينية ثم بالألمانية . وطاف الإخوان بالأوانى يحملون العشاء فأصبنا ماء ساخناً يسمونه حساء ، وسلطة من العشب الأخضر عليه ماء وملح ، ثم طبقاً من البطاطس المطبوخ ، وختمنا بالحلوى وهى من الخبز الأسود قد تناثرت على بعض أطرافه ذرات من السكر . ولكننا لم نر اللحم ولم نذقه فهو عنا غريب .

وانتهى العشاء الكامل فأرسلنا الشكر إلى البارئ وخرجنا كما دخلنا فى نظام جميل ، وكل يهنىء رفيقه على الصحة ويسأله عن شهيته فى أكلة اليوم — على عادة الألمان فى آدابهم وولائمهم — .

لم أبال بهذا الغذاء أكان دسماً أم لم يكن لأنى أمنى النفس بغذاء الغد من مخطوطات العرب !

فإلى الغد أيها الآباء ! ..

سامى الدهان

طرائف من العصر المملوكى :

التـــــورية

للأستاذ محمود رزق سليم

التورية ضرب من البديع ، والبديع — بلاريب — فن جميل من فنون القول . سواء اختلفت النظرات إليه أم ائتلفت . إذ الفن فى جوهره مظهر الفنان ومستجاب وحيه ومرتاض عاطفته به يصور وجدانه ويرسم فكرته ، ابتغاء التأثير فى سامعه وهو فى هذا يجرى وفق ذوقه ويسير قيد مزاجه . فإذا نهج على قواعد أخرى فإنما هى قواعد قد ارتضاها هذا الذوق ، واطمأن إليها هذا المزاج . فلا عليه إلا أن يصور ويرسم . فإن بلغ فيه من سامعيه ومعاصريه حد الإعجاب ، فذلك عهده به وأمله فيه ورجاؤه منه . وإلا فقد بذل ما استطاع ، وقدم ما قدر عليه . وهو بين هذا وذاك فنان لا يغض من فنه نقدنا قد ولا إزراء مزر .

ولقد كان فن البديع أغلى فنون الحديث ومسالك الأسلوب عند أدباء العصر المملوكى وشعرائه . ملك على القوم أحلامهم وذلل أقلامهم فلا تجرى إلا بين أرسانه ، ولا تجول إلا وسط ميدانه ، فوردوا موارده وعنها صدروا . ومدوا موائده وإليها ابتكروا . وكانوا بذلك أدنى أدباء عصر إلى تمثيل أهله ، وأقرب شعراء حقبة إلى تصوير معاصريها .

نقول ذلك ، لا على سبيل المبالغة ، بل على سبيل الحق والصدق. ذلك أن الشعب المصرى طبع من عهد بعيد على أن يسلك فى حديثه مسالك البديع ترفيها للخطاب ، وتجميلا للألفاظ ، وتجميماً للمعانى ، وإلماعا إلى الذكاء وتوقد الذهن ، وإشعاراً بحضور البديهة . فهو يجنس ويورى ويطابق ويقتبس ويضمن ، ولا يبنى يبعث فى خلال ذلك النكتة إثر النكتة والفكاهة عب الفكاهة ، فيها دلالات عدة واتجاهات شىء ينم عنها اللفظ بمنطوقه مرة وبمفهومه مرة وبملابساته مرة ، وهكذا .

لا نحاول هنا أن ندرس مبعث هذه الروح فيه ، ولا أن نتتبع أسبابها . ولا نحاول أن نرجعها إلى عواملها الطبيعية من ذكاء ، أو طيب عيش أو طيب مناخ ، أو إلى عواملها الاجتماعية من كبت عاطفة أو مقاساة حرمان أو كمون التياع . أو من جب فى لذة ، أو تطرف فى ترف ، أو غلو فى سرف . أو غير ذلك مما يتطلب له المرء مخرجاً فى القول فلا يجد إلا هذه الضروب البديعية ، ففيها له التنفس والمراح . يجمع فى أحدها العديد من المعانى ثم يترك السامع يقلبها بين يديه ويختار من بينها ما يلذله ويروقه ، فهو بذلك يحمله على التفكير معه ، ويدفعه إلى مشاركته ، ويسرى بخياله إلى شىء التصورات ، ويتنقل به بين مختلف المعانى ، ويكفيه بذلك فنا .

سرت هذه الروح فى الشعب خلال حديثه حتى كانت له سمتاً وشاوة ، وعرفت عنه منذ أمد ، ونمت نمواً عجيباً فى العصر المملوكى . وامل حياة الزخرف والدهان ، التى كان يفيض بها العصر ، كان لها أثرها فى هذه النمو العجيب ، الذى نضج على أدباء العصر وشعرائه فكانوا — كما ذكرنا — أدنى إلى تمثيله وتصويره .

واعتقادى أننا — معشر المصريين — لا نزال حتى اليوم ندرج فى هذه المدارج ، ونطرق تلك السبل ، برغم فراهة كتابنا وحدق شعرائنا وحرية أدبائنا ، وإزاحتهم ربقة البديع عن أعناقهم وتغلغلهم وراء المعانى والأفكار ، وسـوقهم خلف الدقائق ، وأخذهم من الفلسفة وإمعان النظر بنصيب ، ظهرت عوارضه على إنتاجهم وأساليبهم . ولـكنى أعتقد أنهم — رغم حسناتهم تلك — لايمثلون بأساليبهم العصر الذى فيه يعيشون . ومن كان فى ريب من هذا ، فليسر فى طرقات القاهرة ، وليمر السمع إلى نكات العامة ومحاورات الباعة ومحادثات المارة . فليلج الأسواق الحافلة والمنتديات الحافلة وماشاكلها . فليصت إلى أساليب الناس فى الحديث ، وإلى مدى امتلائها بالتوريات اللطيفة والتضمينات الطريفة والتجنيسات والمطابقات والتلميحات وغيرها من محسنات البديع ، لاتكاد تخلو منها عبارة ، أوتفرغ منها إشارة . والجمهور فى ذلك يصدر عن طبع سليم وفطرة قويمة . فهو يعكس فى أسلوبه تصوراته الباطنة وانفعالاته الخفية الـكامنة — فإلى أى مدى سار أدباؤه المعاصرون مرآة له فى مسالك أسلوبه ومناهج حديثه ؟

ليست عندى ريبة فى أن أدباء العصر المملوكى أدنى إلى تمثيل عصرهم أسلوبا وتصويراً — كما ذكرت — وإذا كان الشعب فى مجموعه ذافن فى مسالك القول فهؤلاء كانوا ألسنته المتكلمة وعواطفه المـــترجمة . فهم بدورهم فنانون صادقون . ومصورون ماهرون .

وصحيح أن هناك من النقاد الحديثين من وضع لنقد عقياسا يعنى فيه بالبحث عن المعانى المبتكرة والتصورات الجديدة والأفكار المفيدة . كأنه يريد من الشعر ألا يكون إلا فلسفة وإلا حكمة وإلا مثلا ، وإلا دستورا صامتا من دساتير الحياة . وأن يكون كذلك فى كل عصر من العصور . وبهذا المقياس يزيف أدب العصر المملوكى ويزيف شعره ، حتى ليتساءل عن أدبائه وشعرائه ويقول أين كانوا يعيشون ؟

والحق أن جلال الأدب فى أسلوبه ، وجماله فى طريقة أدائه وأن صدقه فى أن يعبر عن عاطفة الأديب وشعوره ، وأن يحسن فى تصويره . ولاريب أن ضروبا كثيرة من البديع تعين الأديب على ماهو بصدده من فن فى التعبير والتصوير ، ومن أبرزها التورية والتضمين والجناس والطباق . وهذه كانت من أهم دعائم الأسلوب فى العصر المملوكى .

أنا لا أدافع عن البديع ولا أحدث عن مذهبى فيه . وإنما أحببت له العدل ، وأردت له الإنصاف . فقد كان مزاج الأدب وقوام الأسلوب فى عصر من العصور المصرية . ولم يكن ذلك غريباً منه حينذاك ، بل الغريب ألا يكون . وكيف كان إنتاجه فهو قمين بإعادة النظر فيه من مؤرخى الأدب بيننا . أحب ألا يتأبوا على البحث فيه ، وألا يمتروا فى حصافته قبل أن يبدءوا ببحثه فليعيدوا فيه النظر بعـد إحسان الظن به . ويقينى أنهم سينصفونه وسيجدون فيه شيئاً جديداً مفيداً ممتعاً .

والبديع بعد هذا كله ، أو قبل هذا كله ، فن — بلاريب — جميل ، كما أشرنا . وقد استطاع أدباؤه أن يبرزوا بصورة عملية واضحة ما فى هذه اللغة الكريمة من مزايا ولطائف وضروب جمال فى تكوين ألفاظها وتناسق كلماتها . وأبانوا كيف أقدرهم هذا التكوين والتناسق على التلاعب بالأسلوب والإبداع فى الحديث ، فأظهروا ما خفى فى هذه الألفاظ من أسرار ، وأشعروا الناس بجمال الترادف والاشتراك والتضاد فيها ، وجلوا اللغة فى ثوبها المرن المطاط الذى كثيراً ما يتسع للمعانى المتنافرة التى تندعن الذهن حينا كيفية اجتماعها وطريقة تآخيها .

وكانت التورية أحب أنواع البديع عند أدباء العصر المملوكى وأجل مابرعوا فيه منها . وأفضل ما أبدعوا فيه المعانى ، وأجمل ما أحسنوا فيه التصوير ، لم يشذ منهم عن هذا النهج شاذ . وصحيح أن الصلاح الصفدى — كما بينا فى مقال النقد الأدبى — أعرم بالجناس وجن به دون أدباء عصره ، ولـكنه إلى جانب هذا كان من شعراء التورية . قال ابن حجة الحموى :

« هذا النوع — أعنى التورية — ماتنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الـكتاب . ولعمرى إنهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب التورية فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ، ويفتح أبواب عطف ومحبة . وما أبرز نسمها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول . ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول . »

وقال أيضاً : « وقع الإجماع على أن المتأخرين هم الذين سموا إلى أفق التورية وأطلعوا شموسها . وبازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كئوسها . وقيل إن الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لأهل عصره . وتقدم على المتقدمين بما أودع منها فى نظمه ونثره . فإنه — رحمه الله تعالى — كشف بعد طول التحجب سترحجا بها . وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها . وممن شرب من سلافة عصره . وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره : القاضى ابن سناء الملك ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها . ومتمسكين بطيب أنفاسها . إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها . والواسطة فى عقد جمانها . كالسراج الوراق وأبى الحسين الجزار ، والنصير الحماى وناصر الدين حسن ابن النقيب ، والحكيم شمس الدين بن دانيال ، والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر . »

وهؤلاء الأدباء الستة الذين ذكرهم ابن حجة هم من شعراء العصر المملوكى وفى نصف القرن الأول منه تقريباً . وقد توالى من بعدهم أدباء فحول آخرون هم حلبة ابن نباتة ومنهم الصفدى وابن الوردى وابن اللبانة والحلى والاسعردى والعمرى والمعمار ، وتوالت الحلبات من بعدهم — كما سنبينه إن شاء الله فى مقال آخر — وكلهم يسير تحت راية التورية ، وعاصرهم فى بلاد الشام آخرون . قال الصلاح الصفدى يذكر بعضهم :

« وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأرز نصرهم ولأن فى هذا النوع عصرهم وبعد حصرهم . كل ناظم تود الشعرى لوكانت له شعراً . ويتمنى الصبح لوكان له طرساً ، والغسق مداداً والنثرة نثراً . ماجلا من بنات فكره خوداً إلا شاب لحسنها الوليد . وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد . كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى شيخ شيوخ حماة . والأمير مجير الدين بن تميم . وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى . ومحيى الدين بن قرناص الحموى . وشمس الدين ابن العفيف . وسيف الدين بن المشد . »

وقال أيضاً : « ولانقل أيها الواقف على هذا التأليف : لقد أفرطت فى التعصب لأهل مصر والشام . على من دونهم من الأنام . وهذا باطل ودعوى عدوان . وحمية لأوطانك وما جاورها من البلدان . فالجواب أن الكلام فى التورية لاغير . ومن هنا تنقطع المادة فى السير . ومن ادعى أنه يأتى بدليل وبرهان فالقياس بيننا والشقراء والميدان . »

وبعد فما هى التورية ؟ قال ابن حجة يعرف بها :

« هى أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز . أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية . فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك »

والتورية — كما يرى القارئ — تحتاج إلى إلمام باللغة وإلى نزعة أدبية سليمة ، وإلى لطافة فى الحس . وهى إحدى طرق أداء المعنى . والفرق بينها وبين أداء المعنى فى حيز الدلالات اللفظية هو الفرق بين الأدب واللغة . والمورى مجدد لأنه يضع أمام السامع صوراً من المعانى عدة متشابكة فى بعض أجزائها ، متماسكة فى بعض ملابساتها ، فيدفع السامع إلى التنقل بخياله والتجول بفكره بين صورها الشتى حتى يقع خاطره على المعنى المقصود ، دون أن يشعر بثقل أو يحس بجهد ، بل بالعكس يتنقل بينها كما يتنقل بين أجزاء روضة ، وبين ثنيات بستان ، ويكون لذلك أثره فيه فيلطف حسه ويرق خياله ويتسع تصوره ، وهذه دعائم نفسية تقوم عليها دولة الأدب . وقد نقل ابن حجة قول الزمخشرى فى التورية حيث قال : « ولا ترى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذه الباب ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام صحابته رضى الله عنهم اجمعين . فمن ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » لأن الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار فى المكان ، وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود ، لأن الحق تعالى وتقدس ، منزه عن ذلك . والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور » — ويهمنا من كلام الزمخشرى حديثه عن التورية . أما ما استشهد به من القرآن الكريم ففيه نظر . لأنه كان يدين بالاعتزال .

ومع ذلك فيه نظر من ناحية أخرى ، إذ يعتبر تأويله هنا من باب الكناية مثلا لا من باب التورية . وهذا يجرنا إلى الإشارة إلى أن التورية — فى جوهرها وفيما نشعر — ليست فى حدودها الضيقة

التي وضعها فيها علماء البلاغة بل أنها أوسع نطاقا وأبعد آفاقا. أو أنها على الأقل ذات صلة وثقى بأنواع البلاغة والبديع، كالكناية والمجاز والإلغاز والمحاجاة والتوجيه والتلميح والإيهام والجناس، وأن بينها وبين هذه الأنواع أموراً متشابهة لاتفرق بينها إلا دقائق معنوية، وهذه الأمور تشعرنا بأنها جميعاً تمت إلى التورية بأوثق الصلات. على أن هذا موضوع يحتاج إلى بحث ومعاودة ونظر جديد. فلنتركه الآن لنطرف القارئ ببعض نماذج التورية التي أثرت عن أدباء العصر المملوكي، وكثير منها في الغزل والوصف والشكوى والمدح والإخوانيات. ومنها ما يلي:

كان السراج الوراق مقيما بالروضة، فكتب إليه نصير الدين الحامي موريا بها فقال:

كم قد ترددت للباب الكريم لكي
أبل شوقي وأحيي ميت أشعاري
وأنثني خائباً مما أؤمله وأنت في روضة والقلب في نار

فكتب إليه السراج الوراق:

الآن نزهتني في روضة عبقت أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتني بشذاها فانثنيت بها وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فمن فينا السراج ومن أولى بأن قال إن القلب في نار

وقال أبو الحسين الجزار موريا بصناعته:

إني لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديق
تفنى بالدم إشراقاً عراصهم فكل أيامهم أيام تشريق

وقال الجزار موريا بلفظ «الطوق»:

أنت طوقتني صنيعاً وأسمعتك شكراً كلاهما ما يضيع
فإذا ما شجاك سجعي فإني أنا ذاك المطوق المسموع

وقال ابن دانيال الموصلي موريا في «قوام»:

أيا سائلي عن قد محبوبي الذي فتنت به وجداً وهمت غراماً
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا طوالا فأضحى بين ذاك قواما

ومن توريات الشاب الظريف في كلمة «باقل»:

ولو أن قساً واصف منك وجنة لأعجزه نبت بها وهو باقل

ومن توريات جمال الدين بن نباتة في كلمة «راحة»:

يا غائبين تعللنا لغيبتهم بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في نصب

وقال أيضاً في «الكمال» وهو مسمى به:

أرى جلستي عند الكمال تميتني غبونا ونفمي بالملوم يفوت
وما تنفع الآداب والعلم والحجا وصاحبها عند الكمال يموت

وقال متغزلا موريا في «حل وقد»:

سألت النقا والبان أن يحكيا لنا روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

وروى محيي الدين بن عبد الظاهر في «الأوراق» فقال متغزلا:

ذو قوام يجور منه اعتدال كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهي غيظى واقفات تشكوه بالأوراق

ومن طرائف التوريات ماخرج مخرج الجناس، قال ابن حجة «قد تقرر أن ركني الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى لأنه نوع لفظي لا معنوي. وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع: والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان في ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس».

ومن جناس التورية قول بدر الدين الدماميني يصف ابن حجر العسقلاني:

حمى ابن على حوزة المجد والعلى ومن رام أشتات المعالي وحازها
وكم مشكلات في البيان بفهمه تبينها من غير عجب ومازها

ومازها من ماز يميز أو بمعنى لم يدخله الزهو.

فأجابه ابن حجر بقوله:

بروحي بدر أفق الندى ما أطاع من نهاه وقد حاز المعالي فزانها
يسائل أن ينهى عن الجود نفسه وهاهو قد بر العفاة ومانها

ومانها، من مانه بمعنى كفاه. أو مانها من النهى.

ويطول المقام إذا ذهبنا نتحدث عن التورية ونستشهد لأنواعها من شعر هذا العصر. فحسبنا ما مر.

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من أدب العراق :

المرأة فى شعر الرصافى

للشيخ محمد رجب البيومي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما حافظ فقد جعل الأم مدرسة كصاحبه ، وزاد فرفعها إلى قمة عالية فكانت عنده أستاذ الأساتذة الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس ، كما شبهها بروض زاهر ، يورق ويثمر إذا تعهده الحيا بالرى ، وأعلن تبرمه بحالتها الراهنة ، فذكر أنها ليست أثاثاً يُقتنى فى الدور ولا درراً تُصان فى الأحقاق ، فيجب أن تتبوأ مكانها فى المجتمع . وهو مع هذه الصيحة يحتاط أكل احتياط ، وينظر إلى البداية والنهاية معا فى وقت واحد ، فيخوف من السفور ، ويحدد مهمة المرأة الاجتماعية ، فهى ربة بيت تنهض بأعبائه ، وتضطلع بشؤونه .

قال شاعر النيل :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً ... بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقيته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهياً ... عن واجبات نواعس الأحداق
فى دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رب السيف والمزراق

وإذن فحافظ متحفظ فى ثورته ، وكل ما يريده أن تخرج الفتاة إلى مدرستها ثم ترجع إلى البيت الذى تديره ، ولا كذلك الرصافى ، فهو يمشى مع السفور إلى أبعد شوط ، ويرى أن المرأة كالحمامة لها ريش يجب أن تطير به ، وسجع يلزم أن تردده ، وإلا لما خلق الله لها ذلك ، وكان التمثل بالشريعة نغمة متصلة ، يرددها المحافظون فأطاب الشاعر فى دحض هذه الحجة ، وأخذ يكرر قوافيه التلاحقه فى نقضها . ومما قاله فى ذلك فوق ما قدمناه :

وأكبر ما أشكو من القوم إنهم ... يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وذلك أنا لا نزال نساؤنا ... تعيش بجهل وانفصال من الجمع
أفى الشرع إعدام الحمامة ريشها ... وإسكانها فوق الغصون عن السجع
فقد أطلق الخلاق منها جناحها ... وعلمها كيف الوقوف على الزرع

وقصائد الرصافى فى هذا الموضوع أكثر من أن تحصر ؛ فقد كان يرى الدفاع عن حقوق المرأة أمانة فى عنقه ، يجب أن يؤديها بغير تمهل وانتظار . وقد أفلح الشاعر فى دفاعه أى فلاح ، وعاش حتى رأى المرأة الشرقية كما أحب لها من تقدم وصعود ، فهاد يمجد فى مواهبها ، ويبالغ فى مكانتها ويفخر بنهضتها التى تمت فى وقت يسير . وما ظنك بزارع كادح بذل جهده الدائب فى شق التربة وغرس الثمرة ، وصادف من الصخور ما كاد يهشم معوله ، ويبدد قوته وما زال يتعهد غرسه بالماء حتى رآه — بعد لأى — جنة مورقة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، هكذا كان معروف ! !

وهنا نتساءل بعد ما أسلفناه من جهاد الشاعر عن موقفه العاطفى من المرأة ، وهل ملكت يوماً زمام فؤاده ؟ وماذا أوحت إليه من فاتن الغزل ورقيق النسيب ؟ ؟

وقبل كل شىء نذكر أن الرصافى قد تزوج مرة واحدة فى حياته ، أثناء إقامته بتركيا ، ولم يكتب له التوفيق كزوج مسؤول ، فطلق امرأته بعد مدة وجيزة ، وألقى العبء عن كاهله ، كما صنع شاعر النيل ؟

كما لم يحدثنا أحد من معارفه بأنه أحب فتاة معينة ، أو أنشأ علاقة مع امرأة بذاتها ، وإن كنا نعلم أنه كان إباحياً متحللا يبحث عن شهوات الجسد من أى طريق . وأنت تنظر إلى ماروى عنه من صادق النسيب ، فنجده ينظر إلى النساء بمنظار واحد ، فهو يغازل هذه وتلك دون أن يدخر فى قلبه شجنا مبرحاً ، أو لوعة حارة . وإذن فمعروف بهوى الحسن مجرداً عن ذاته كما يراه فى كل لون ووضع ؛ فهو يحب البيضاء إذ تتألق كالبدر ، ويعشق الحمراء إذ يتذكر بها طلوع الشمس ، ويميل إلى السمراء والصفراء جميعاً فى وقت واحد !! وقد يظن بعض الناس أن هذا خيال شاعر لا حقيقة له ، والواقع غير ذلك ، فالجمال لا يقف عند لونه ، وإنما يتعداه إلى الخفة والرونة . وكأنى بالرصافى وقد وجد قلبه أعظم من أن يختص بواحدة ، فهام بجميع الملاح . اسمعه يقول

وقفت عليكن قلبى الذى ... يمربه الحب مر السحاب
فمنكن أحببت هندى وتى ... والفيت عذبا بكن العذاب
فمنكن بيضاء ما مثلها ... (هذا حمرة الخد) ألا القمر
فتلك التى طاب لى وصلها ... كليلة البدر طاب السمر

ومنكن حمراء جذابة حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها وهى خـــلابة فأمسك بالكف منى الضلوع

ومنكن صفراء فى لونها كأن قد تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على ضفها أصخت هبوب النسيم العليل

ومنكن سمراء تحكى الدمى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها بلوح اللمى فتوقد فى القلب نار الجوى

ومنكن من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب
تريد غـــلاب جميع اللاح وتبغى عذاب جميع القلوب

فمنكن طرا بوادى الهوى أهيم وإن لم تعـــد عائدة
ألا إن حبا بقلبى انطوى كثير فـــلم تكفه واحدة

وطبيعى أن يكون الرصافى فناناً ماهراً فى نظرته إلى المرأة ، فهو يصفها فى دقة وحذق وكأنما أحاط بحركاتها واحدة فواحدة . وقد صور ملهى للرقص فى بغداد ، فكدنا نراه فى القاهرة . والذى يهمنا منه تلك اللوحة الرائعة التى رسمها للراقصة الفاتنة ؛ فقد تكلم عن ثوبها الحريرى فخيل إلى أنه حائك ماهر يصفه لزميله كى يصنع مثله . وانتقل إلى حركاتها السريعة فكاد يسبقها فى الخفة والوثوب ، على أنه يطير معها فى الجيئة والذهوب ، وان أترك القارىء حتى أضع أمامه جانباً من هذه اللوحة ، فالفن يشوه بالتلخيص أقبح تشويه ، قال معروف :

خطرت والجمال يخطر منها فى حشا القوم جيئة وذهوبا
وعلى أرؤس الأصابع قامت تتمطى تبختراً ووثوبا
يعبس الأنس أن تروح ذهابا ويعيد ابتسامه أن تؤوبا
نحن منها فى الحالتين نرانا ترقب الشمس مطلعاً ومغيبا
حركات خلالها سكنات يقف العقـــل بينهن سليبا
وخطى تفضح العقول اتساقاً نظمتها تسرعا وديبا
لو غدا الشعر ناطقا بلسان لتغنى بوصفها عندليبا
أظهرت فى الجمال من كل عضو لعبا كان بالعقول لعوبا
مشهد فيه للحياة حياة تترك الواله الحزين طروبا

وله من هذا السياق النضيد شىء كثير .

هذا وقد رأيت بعض من كتبوا عنه غب وفاته يعدون ما تغزل به فى المرأة تقليداً واحتذاء ، وحجتهم فى ذلك أن الشاعر لا يهدف إلى فتاة معينة ، وأنا أقول : إن من الخطأ البين ألا نفرق بين ما تفتتح به القصائد من عبارات التشبيب وبين ما يجيش بصدر الشاعر فيهتف به . نعم قد يكون الأديب فى إنتاجه متجها إلى عناصر غير الحب واللوعة ، ولكن هل يكون معنى ذلك أنه تناسى عاطفته التى تختلج فى خفاياه ، وتتجاهل غريزته التى تموج فى خلاياه ، فإذا قال غزلا فاننا قيل له من فتاتك ؟ ما اسمها ؟ وفى أى بيئة نشأت ؟ وبأى ثقافة تميزت ؟ وإذا مر الشاعر فى طريق مزدحم ، فوقعت عينه على حسناء ساحرة ثم اختفت عنه فى لجج الزحام الحاشد ، دون أن يعلم عنها أى شىء ، أنقول له : حطم يراعك ، ومزق طرسك ، لأن فتاتك غير معروفة باسمها وصفتها فلا ينبغى أن تنسب بها وإلا كنت صانعا أى صانع ! ! هذا والله شىء عجيب ! !

إن شاعراً يحترم فنه كمعروف لا يمكن أن ينشىء غزلا دون أن تشتجر فى صدره العواطف ، ولنا أن نعد من تشبيبه التقليدى ما يجىء عرضاً عن المرأة فى موضوع خاص ، يهدف إلى فكرة خاصة ، لا تتصل بالحب من قريب أو بعيد ، كقوله فى قصيدة « العالم شعر » .

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى أجاب ألا لبيك يا بيضـــه الخدر
تهادت تريبى البدر محدقة بهـــا أوانس إحداق الكواكب بالبـــدر
فلله ما قد هجن لى من صبابة ألفت بها طى الضلوع على الجمر
تصافح إحداهن فى المشى أختها فنحر إلى نحر ، وصدر إلى صدر
مررن وقد أقصرت خطوى تأدبا وأجمت أمرى فى محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهن أرؤسا عليها أكاليل ضفرن من الشعر
فألقيت كفى فوق صـــدرى مسلماً وأطرقت نحـو الأرض منحنى الظهر
وأرسلت قلبى نحوهن مشيعاً فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
وقلت وكفى نحوهن مشيرة ألا إن هذا الشعر من أجل الشعر

فهذه الأبيات من قصيدة وصفية ، نظمها الرصافى ليعلن أن الطبيعة ديوان شعرى ممتاز ، وأخذ يقلب صفحات الديوان ، فرأى فى سكون الليل قصيدة عامرة عدها من (أحسن) الشعر ، ورأى فى طلوع الشمس قصيدة بارعة عدها من (أبدع) الشعر ، ورأى فى وحشة القفار قصيدة باكية عدها من (أفجع) الشعر ،

اتجه إلى المرأة فنظم الأبيات المتقدمة لأنه يرى فى ركب حـواء قصيدة ساحرة من (أجمل) الشعر ، وإذن فالكلام هنا عن المرأة تقليدى سافى ، حيث لم تكن صاحبة الفكرة التى تقوم عليها القصيدة . ومن الظلم البين أن نسحب هـذا الحكم على جميع ما ترنم به معروف عن المرأة . وليت شعرى من ينكر صدق العاطفة فى قوله عن فتاة مجهولة .

فتنت اللآلئ قبـل البشر وهامت بك الشمس قبل القمر
ومرّ بك السمع قبل البصر وغنى بك الشعر قبل الوتر
فأنت بحسنك بنت العبر

يروح الشتاء وتصحو السما ويأتى الربيع بمـــا نمما
فيطلع فـــوق الثرى أنجما ويبتسم الزهر بعـــد الغما
فأنت ابتسامة ذاك الزهر

نطرفك بالفتر كم قد روى نشيد الغرام بهذ القوى
وما أنت شاعرة فى الهوى ولكنما الشعر فيك انطوى
فآية حسنك إحدى الكبر

فهذا الشعر لوروى لشاعر ممن اشتهرت صاحبته لعد من قوافيه المختارة ، فهل يليق بعد ذلك أن نتساءل عن الملهمة ، من هى ؟

فإذا لم نجد الإجابة الواضحة ، حكمنا على الشـاعر بالتقليد والصنعة دون تريث !! الحق أننا سطحيون .

ولا بد لنا أن نتكلم عن اتجاه الرصافى فى أقاصيصه الاجتماعية فقد جعل المرأة عنصر الأقصوصة الهام ، فلا مناص له من أن يصور خوالجها الهامة ، ونوازعها الراجفة ، مما يتطلب دراسة عميقة لنفسية حواء . ولهذا كان الشاعر فلسفى النظرة دقيق النحى ، وإن خدع قارئه برونق الديباجة وسلاسة التركيب . ولو ذهبنا نستقصى ما روى له فى هذا المضمار لا متدبنا حبـل البحث ، ولكننا نضع أمام القارىء قصيدة « أم ليتيم » كنموذج لطريقة الشاعر ، فهو يريد أن يندد بالتحزب الدينى ، والتعصب المذهبى ، وما يجر ذلك من نقص فى الأموال والأرواح ، فقام فى قصته برحلة إلى الأحياء المدمة ، فى هدأة الليل ، وسمع أنيناً مؤلماً يرن فى كوخ بائس فعرفه ، حتى إذا بدأ الصبح أتاه ، فرأى به أرملة حزينة — هى بطلة قصته — وأمامها طفل جائع تعلله بالطعام ، وتدع معروفاً يصف لنا الأم الجائعة وما وقعت فيه من التناقض الغريب ، حيث جمعت بين الضحك والبكاء فى لحظة واحدة ، فهو يقول .

وقفت لديها والأسى فى عيونها يكلمنى عنها وإن لم تكلم
وساءلتها عنها وعنه(١) فأجهشت
بكاء وقالت أيهـــا الدمع ترجم
ولما تناهت فى البكاء تضاحكت من اليأس ضحك المازئ المتهكم
ولكن دموع العين أنمـــاء ضحكها
هواطل مهما يسجم الضحك تسجم
فقد جمعت ثغرا من الضحك مفعما إلى محجر باك من الدمع مفعم
فتذرى دموعا كالجمان تناثرت وتضحك عن مثل الجمان المنظم
فلم أر عيناً قبلها سال دمعها بـــكاء وفيها نظرة المتبسم
وقلت وفى قلبى من الوجد رعشة أمجنونة يا رب فارحم وسلم

ويسير الشاعر فيذكر حنان الأم الرءوم وكيف ضمت إليها ابنها فى شغفه وعطف ، وماذا قال لها الطفل وهو يسأل عن أبيه ؟ وكيف أجابته بما يريده الشاعر من أقصوصة فوصفت ما دار بين المسلمين والأرمن من مذابح تجرى دماؤها باسم الدين ؟ استمع إلى كل ذلك فى قوله .

وظلت له(٢) ترنو بعين تجودها بفذ من الدمع الغزير وتوأم
سلى ذا الفتى يا أم أين مضى أبى وهل هو يأتينا مساء بمطعم
فقالت له والعين تجرى غروبها وأنفاسها يقذفن شعلة مضرم
أبوك ترامت فيه سفرة راحل إلى حيث لا يرجى له يوم مقدم
مشى أرمنيا فى المعاهد فارتمت به فى مهاوى الموت ضربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورة أتت عن حزازات إلى الدين تنتمى
فقامت بها بين الديار مذابح تخوّض منها الأرمنيون فى الدم
ولولاك لا خترت الحمام تخلصا بنفسى من أتعاب عيش مذمم

ومهما يكن من شىء فالمقام لا يسمح أن نلم بغير هذه القصة المشجية ، ذات المغزى الرائع ، مما نظمه الشاعر الكبير ، ففى كل قصة منظر مختلف لفتاة بائسة ، داهمتها الخطوب . ولا غير على الرصافى إذا أكثر من تصوير هذه المآسى الدامية فقد نشأ فى أمة مزقتها العلل ، ونحرشت بها الأحزان ، فتقاطرت من عينه الدموع !!

أين أنت يا معروف ؟ وكيف خمدت جذوتك الملتهبة ، وسكن فؤادك الخافق الجياش ؟ ووقف ذهنك المواد .

سكت فلم نسمع غناءك مشجياً فيا بلبل القطر الشقيق ترنم !

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

(١) ، (٢) الضمير فيهما تعود للى الطفل .

ترجمة وتحليل :

١ - أمنية الشاعر !

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

... أما الشاعر فإنه مفخرة الأدب الفرنسي « الفونس دي لامرتين » ، وأما الأمنية فإنها قصيدة عصرها من حبة قلبه ، فكانت زفرة حرّى تحترق بلهيبها عبرات الذواقين لهذا النوع من الشعر المثالي الرفيع .

وهذه الأمنية تصوير دقيق لما يجيش في نفس الشاعر المرهف الحس الذي لا ينى يعبر بشعره عن الآفاق التي يدرك عظمتها ولا يصل إليها مهما بذل من الجهد ، وعن العوالم التي يحس روعتها ولا يبلغها مهما ارتقى في الأسباب .

نظم لامرتين هذه القصيدة - كما حدث عن نفسه - « في فترة من حياته تحولت فيها فكرته - التي كانت لا تتوخى غاية ، ولا تعين أمنية ، ولا تعنى بهذه الأرض ومن عليها - تحولا طبيعياً منتظراً نحو السماء وبانيها ، ونحو الطبيعة وبارئها ، فأمست أناشيده كلها دينية . يومئذ عرف أرواحاً كانت تقواها ثمرة دموعها ، وعرف أرواحاً أخر كانت عبادتها كأريج الربيع الفواح تحت أضواء الشمس المشرقة التي تمتع القلب بالبشر والسرور . ولقد أحب أن تكون روحه من هذه الأرواح الأخر .

حطم الألم أعصابه ، ورده صامتاً لا يبين ، جاحداً لا يؤمن ، يائساً لا ينتج . ثم أقبلت عليه السعادة بعد إدبار ، فحببت إليه الإيمان وزينت في قلبه ألحانه ، فعاد ناعم الفكر ، رخي البال (*)

في تلك الفترة التي عاد فيها إلى إيمانه أو عاد إليه إيمانه نظم قصيدته في مدينة من مدن إيطاليا تسمى (ليفورن) (Livourne) سنة ١٨٢٧ . ولست أدري ما الذي يربط قلبي بقلب لامرتين ، فما تأملت إحدى قصائده إلا أحسست كأنه ينظمها بلساني أو أنثرها عن لسانه ، أو يكتبها من لوحة قلبي وأتلوها في لوحة قلبه ؛ وما أريد بهذه الكلمة أن أعلو بنفسي إلى أفق هذا الشاعر العظيم في روعة تصويره ، وسحر خياله ، فما ينبغي لي هذا ولا أستطيعه ؛ إن أريد إلا أن أتيح لقلمي بعض العذر في ترجمة قصائده وتحليلها كلما وجدت فراغاً ، وآنست رغبة .

(*) Harmonies Poétiques et Religieuses p 302

لم يبح لامرتين لنفسه تصوير أمنيته إلا بعد أن أعلن عجزه ، واعترف بهي لسانه : فشعوره أسمى من أن يترجم عنه ما تيسر له من الكلمات المحدودة ، وتفكيره أعلى من أن يذيعه لسانه العيي الذي لا يحسن الابتكار والتوليد .

١ - « آه ! لو كانت لي كلمات وصور ورموز
لترجمتُ عن شعوري !
ولو كان لساني العيي قادراً على التعبير
لأداع تفكيري ! »

أما وقد أبت الكلمات الحية ، والصور الناطقة ، والرموز الموضحة ، أن تواتيه وتكون مطواعاً لقلبه ولسانه - فليس أمامه إلا سلوك النهج الذي سلكه الشعراء من قبله - وسوف يسلكونه من بعده - فليمثل مثول الخاشع الخاضع بين يدي السماء ، وليصف حكمتها بأرفع ما يجري به لسانه من آي المديح والثناء ؛ فالتقديس لها ، والسرمدية عنها ، والأزلية منها ، لأنها ما أخرجت من ظلمات العدم شيئاً إلا أدخلت عليه نور الحياة ، ولا أبدعت للوجود كائناً إلا علمته لحناً ينشده فيطرب ، ولا بثّت في السقف المرفوع كوكباً إلا أنزلت عليه وحياً يتلوه فيرضى ، ولا حددت للمسافات موضعاً إلا جعلت له مغنى تصدح بلابله فيشجي السامعون . .

٢ - « إنها لحكمة قدسية سرمدية وروح أزلية ،
تُمد العالم كله بالحياة !
فللكلّ كائن لحنه ، وللكل كوكب وحيُه ،
ولكل موضع مغناه ! »

ويمضي لامرتين في تأمله فيرى أن يتبوع هذه الأنغام كلها نغم واحد ، ولكنه ليس عادياً توقعه أنامل العادين ثم يفتر بفتورهم ، ولا عبقرياً تتلاعب به قلوب المباقرة فيختنق بموتهم ؛ وإنما هو نغم خالد لا يفتر ، قديم لم يتغير ، أزلي لن يختنق . أخذ من عيون الطبيعة سحراً يسبي القلوب ، ومن وقارها هيبة تأسر النفوس ، ومن خلاقها العظيم رهبة تعجز العقول . ومع أن جرْس هذا النغم رتيب لا يتبدل فإنه حلو في الإسماع كلما تكرر ازداد حلاوة .

٣ - « ما لهؤلاء إلا نغم واحد ، ولكنه كالطبيعة ساحر مهيب ،
وكخلاقها عظيم ذو جلال !
وإن هذا النغم الخالد ، بجرسه الرتيب ،
لمحبوب يا إلهي في كل مجال ! »

وكيف لا يكون هذا النغم محبوباً وهو موسيقى مختلفة الإيقاع ؟ فمنه صوت الرياح إذا هبت تداعب الأمواج ، وصوت البحر إذا تنهد شوقاً أو زمجر ضجراً ، وصوت الصاعقة إذا توعدت انذاراً ، ودوت غضباً . . وهل من غبي بين البشر لا يعرف ماذا تعني هذه الأصوات ؟

٤ — « فإذا الرياح هبت على الأمواج ، وإذا البحر تنهد أو زمجر ،
وإذ الصـــاعقة قدمت بالوعيد ...
ليت شـــعري ، هـــل من غبي بين البشر ،
يســـأل عمـا تريد ؟ ؟ . . . »

كلا ... لن يسأل عن مرادها سائل ، فإنها تفصح بلسان مبين عن كل ما ترمو : فما مداعبة الرياح للأمواج ، وما تنهد البحر وزمجرته ، ولا دوى الصاعقة ووعيدها ، إلا مظاهر من رحمة الله وقهره ، تتجلى تارة في جلاله وقدرته وفضله ، وتارة في غضبه وانتقامه وعدله . ولو سألت الرياح عن أغانيها ، والبحار عن تأوهها وأنينها ، والصواعق عن إنذارها ووعيدها ، لقالت : إنها تسبح بحمد الله ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ؛ ولتداعت إلى الفرار إذا ذر شارق من نور وجهه ، أو لاح بارق من نور ظله ؛ ولتنادت إلى السكوت ، واجتمعت على الإصغاء ، وائتلفت لسماع النغم الوحيد الذي يرسله من لدنه ليملأ الدنيا ألحاناً وأغاريد !

٥ — « قال قائل منها : يا لجلال الله ! وقال ثانيها : يا لقدرته وفضله !
وقال آخرها : يا لغضبه وانتقامـــه !
ثم ولى أحدها هارباً من إشراق وجهه ، وقال آخر : قد لاح بظله !
أيتها السموات والأرض أصيخي لكلامه ! »

بيد أن الفرق واضح بين الإنسان وهذه الطبيعة ، فإن هذه تنطق بلسان الحال فيغنيها عن لسان المقال ، وذاك أوتي لسان المقال ليعبر عن لسان الحال ، ومقاله متوقف على الألفاظ ، وما الألفاظ إلا قوالب للمعاني لا تنبض بالحياة ، ولا جناح لها فتحلق في الأجواء ، أو تنطلق في الآفاق ، كهذه الطيور التي تهيم في كل مكان ، وتحط على كل شجرة ، وتهبط كل واد ، وتعلو كل جبل ، وترى كل شيء . ولئن كانت فكرة الإنسان خالدة لا تموت — لأن موحيها الحي القيوم كتب لها الحياة — فإن ألفاظه المعبرة عنها لأصداء ترجع الأصوات ، وما كان لصدى أن يدوم ، فلا بد لبلبت أن يزول .

٦ — « لكن الإنسان الذي خلقته ، هذا الذي يفهم الطبيعة ،
لا يتهدى بغير الألفاظ إلى المعاني الرفيعة ؛
« وإن ألفاظاً فاقدة الحياة مهيضة الجناح ، إذا قيست بفكرته التي لا تموت
كانت أصـــداء وشيكة الســـكوت ! »

مسكين هذا الإنسان الذي ينشد الحقيقة فلا يظفر إلا بصداها ، ويروم الانطلاق من سجنه والتفلت من قيده ، فيضرب بينه وبين رغبته بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب : فمثله كمثل العاصفة يحدق بها الغمام من كل جانب ؛ ويطبق عليها من كل مكان تعانده فيضحك ، وتحاول تمزيقه فيبتسم ، وتود لو انفجرت لتفارقه فيصفح عنها لتلازمه ، فلا هو يتارك لها منفذاً ، ولا هي بقادرة على الفرار . أو كالموجة محبوسة في هذا البحر العميق تود لو رأت عالماً سواه ، إلا أن الشاطىء يقف في طريقها سداً منيعاً ، فتثور في وجهه فتلطمه لتتغلب عليه فلا ينزحزح ، وتهدأ ثائرتها فتغسل قدميه لتسترضيه فلا يبالي ، وتعيد الكرة من غير أن تصيب نجاحاً ، فتيأس من العلو عليه ، وتقنع بسجنها قناعة العاجز الساخط ، لا قناعة الراضي المقتدر .

٧ — « روحـه كالعاصـــفة . . . في الغمام تزمجر ،
ولا تســـتطيع أن تنفجـــر
أو كالموجـــة الحبيسة تلطم الشـــاطىء وتجلوه ،
ولا تســـتطيع أن تعلوه ! »

والملوم على كل حال روح الإنسان لا ملهمها ، لأن هذه الروح مغرورة تحاول أن تجتاز الحد الذي وضع لها ، فيدركها التعب ، ويسرع إليها الضنى : تريد أن تبرهن على قوتها وهي ضعيفة ، وعلى علمها وهي جاهلة ، وعلى مقدرتها وهي عاجزة ؛ فهي كهذا النسر الصغير الذي لم ينبت ريشه بعد ، يريد أن يطير كما تطير النسور ، ويريد أن يسابقها منذ تفتحت عينه على عالم النور ، ولكنه يتبين ضعفه فيقنع نفسه بالوثوب على الأرض ، ثم يتبين عجزه فإذا هو قانع بالترفق في دبيبه ، يمشي مشية الحذر ، ويبطىء إبطاء الذي يزحف شاكاً مستريباً .

٨ — « وتتعب نفسها وتضنيها كأنها نسر صغير ،
لم ينبت له بعـد شـكير
تتفتح عينـه على عالمه ، فيـترفق في الدبيب ،
ترفق الزاحف المستريب ! »

(التتمة في العدد القادم)

صبحي ابراهيم الصالح

عبد القادر الحسيني !

للأستاذ أحمد محيمر

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . . »

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل ... بمثل عزمك تبنى مجدها الدول
أمامك الجنة الخضراء تفتحها ... لك الدماء التي أهرقت والأسل
السابقون من الأبطال قد دخلوا ... والصاعدون من الأحرار قد وصلوا
ودوا لحب الوغى لو أنهم رجعوا ... ليقتلوا مرة أخرى ، كما قتلوا
يعانقون ظباها ، وهي هاوية ... كأنما الطعن في لبّاتهم قُبل
ستلتقون على أنهارها زمراً ، ... وفوق أوراحكم من خلدها ظلل
والروح يرقص والأنوار هامسة ... والطير تدنو، وتستعلي، وترتحل

يا ابن الحسين! دموع الحزن جارية ... ونارُه في طوايا القلب تشتعل
على شبابك نبكي لوعة وأسى ... وإن يكن لحياة الخلد ينتقل
شمس طوتها المنايا وهي مشرقة ... صبحاً ولم يدن من آفاقها الطفل
وزهرة من نضير الزهر ذات ندى ... لم يشبع الغلّ منه غصتها الخضل
على ابتسامك ، والهيجاء عابسة ... والنار تصرخ، والأسياف تقتتل
على اقتحامك، والأبطال شاكية ... وللدماء على أبدانها سبل
على إرادة مرهوب العزيمة ، لا ... ريث إذا طمت البلوى، ولا عجل
كأنها هبّةُ الإعصار جارفة ، ... ودفعة السيل، والعسّالة الذُّبل
إن يقتلوك فبالذل الذي شربوا ... من راحتيك، وبالضيم الذي نهلوا
ملأتهم بظلام الخوف؛ فانطلقوا ... وفوق أعينهم من ليله سدل
من لا تبادره بالسيف بادره ... من نفسه القاتلان الجبن والوجل
لو لم يُمنهم بغو التمييز ما حملوا ... رمحاً ، ولا قاتلوا لو أنهم حملوا
أخس ما شهدته الأرض من أمم ... كأنهم من قرار الذل قد جبلوا
الموت ماولدوا، للقبر ما حشدوا، ... للخسر ما بذلوا ، للضيم ما نسلوا
الذائقون على كفّيك مصرعهم ... والتائهون ، فلا سهل ولا جبل
والكاذبون إذا أبطالكم صدقوا ... والقاتلون إذا شجعانكم عملوا
والحاشدون ألوفا لا غناء بها ... يوم الصدام ، وخير منهم رجل
لهم من الحرب أغلال، ومسكنة، ... وذلة ، ولك الأسلاب والنقل ..

يا حامي القدس من كيد يُرادُ به ... خلا العرين، ومات الضيغم البطل
أغناك عزمك عن نظم ، وعن خطب ... فلم تزل بلسان السيف ترتجل
أرسلتها كلمات منه دامية ... حمراء آذانها الأخلاد والقلل
يريقها وهي تهوى في مقاتلهم ... بلاغة خشيت لألاءها القلل
لو لم تكن بك قد هامت مضاربه ... لما غدا وله من حزنه أُلل
بكى. فأبكى، ولم تبرح مدامعه ... لما قضيت مع الباكين تنهمل
يرنو لشبليك محزوناً ، ونائحة ... وراء نعشك تكلى شفها الخبل
قد أذهلتها المنايا ، فهي حاسرة ... بين الحشود ، فلا خدر ولا كلل
لم يُبق في قلبها التوديع من جلد ... إن الفراق بغيض ليس يحتمل !

يا حامي القدس، دعهم يشمتون فما ... يستأخر العمر يوماً إن دنا الأجل
في حومة المجد والأرماح مشرعة ... لقيت حتفك ، والأبطال تنتضل
فما جبنت على يأس، كما جبنوا ... ولا خذلت على روع كما خذلوا
ولا أدرت وجوه الخيل مدبرة ... في الموقف الضنك من خوف وقد فعلوا
وليس أشرف من موت حظيت به ... والنصر دانٍ إلى عينيك مقتبل
والنقع فوق رءوس القوم يتقله ... من الدماء التي أهرقتها بلل
وللسكاة على أسلابهم فرح ، ... وللسيوف على أشلائهم زجل
ورايةُ العرب تستعلي ، ورايتهم ... ممزق جانبيها العار والخجل ..

يا ابن الحسين تحيات نرددها ... ما أشرق الصبح ، أو ما ابيضت الأسل
غامرت في الشرف الأعلى ففزت به ... وجاذباك إليه الحب والأمل
ونلت في حومة الهيجاء ما طمحت ... يوماً إلى مثله آباؤك الأول
جنات عدن إلى لقياك ظامئة ... والسابقون لدار الخلد ، والرسل
من لؤلؤ قصرك الثاوي على شرف ... يرف في ساحته البشر ، والجذل
والماء من ربوات الخلد يدفعه ... لظله الأبد المذخور والأزل
والظل بالماء في الشطآن مقترن ... والماء بالقصر دون الظل متصل
وللملائك تسبيح وهينمة ... كما ترنم شاد بالهوى زجل
فانعم بخلدك في أبهائه فرحاً ... إن الخلود جزاء أيها البطل ..

(الزقازيق)

أحمد محيمر

الأدب والفن في أسبوع

جوائز فؤاد الأول :

كان يوم الأربعاء ٢٨ إبريل الماضي يوم الذكرى الثانية عشرة لوفاة المغفور له الملك فؤاد الأول . وفي ذكرى فؤاد الأول احتفل بتوزيع جوائز فؤاد الأول في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، وهكذا اجتمعت كل هذه المعاني في هذا اليوم المشهود كما قال معالي وزير المعارف في كلمته التي افتتح بها الحفل . ثم أعقب معاليه معالي الأستاذ علي عبد الرازق رئيس لجنة الفحص لجائزة الآداب ، فمعالي الدكتور محمد بهي الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ، فسعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ؛ وتحدث كل منهم عن أعمال لجنته وخصائص المؤلفات التي فاز أصحابها بالجوائز . وقد تضمنت كلمة رئيس لجنة الأدب أن اللجنة رأت نفسها إزاء كتب ثلاثة لم تستطع أن تفاضل بينها لتختار منها اثنين لجائزتي سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٨ فقررت فوز كل من الثلاثة بجائزة كاملة .

وأعلن رئيس لجنة العلوم قرار اللجنة المتضمن إرجاء توزيع جائزتها إلى العام القادم .

والفائزون في الأدب هم — وفق ترتيب حروف الهجاء — الدكتور أحمد أمين بك ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل باشا . وقسمت جائزة القانون بين الدكتور حلمي بهجت بدوي والدكتور محمود حسين أبو عافية .

الألفاظ والأساليب في المجمع اللغوي :

ألفت بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في العام الماضي ، لجنة الألفاظ والأساليب ، واختير الأستاذ أحمد أمين بك رئيساً لها والأستاذ علي الجارم بك كاتب سرها ، وحددت أغراضها بالبحث فيما يرد بالصحف والمؤلفات الحديثة ، ومايجري على ألسنة المثقفين من ألفاظ وأساليب ، لمعرفة الصحيح من غيره ، وتعديل ما ليس بصحيح ، ووضع صحيح بدلا مما لا يمكن تعديله ؛ على أن تعرض ما تنتهي إليه على مجلس المجمع ، ثم تذاع قراراته فيها بعد ذلك على الجمهور في الصحف .

وقد بحثت اللجنة كثيراً من تلك الألفاظ والأساليب ، وأعدت في اجتماعها الأخير قرارات في ستة عشر لفظا وأسلوبا ، وعرضت على مجلس المجمع الذي شرع في مناقشتها بجلسة يوم الاثنين الماضي ، وسيوالي النظر فيها في الجلسات التالية وستذاع عقب إقرارها . ومن الألفاظ التي وافق عليها المجلس لفظ « مهرج » لمن يضحك الناس . وقد بنيت صحة هذا اللفظ على قرار سابق للمجمع يجيز تضعيف الثلاثي للتعدية والتكثير ، والموجود في اللغة « هرج » ثلاثياً بمعنى خلط ، فالمهرج هو الذي يخلط في كلامه لإضحاك الناس ، وقد استحسن الدكتور طه حسين بك هذا الاستعمال وأبدى رأيه في أن يضمن « المعجم اللغوي الكبير » الذي يشرف الدكتور طه حسين على إعداده ، كل ما يعتمد من الألفاظ والأساليب التي تبحثها اللجنة .

الاستفتاءات اللغوية :

ومن عمل لجنة الألفاظ والأساليب النظر فيما يرد على المجمع من استفتاءات لغوية وأسلوبية ، وتتولى الإجابة عليها ، ثم ترسل هذه الإجابات إلى أصحابها .

ولعل من المفيد أن ينشر من هذه الإجابات ما يرى في نشره فائدة عامة ، فأقترح على اللجنة أن تضم مثل هذا إلى الألفاظ والأساليب التي تذيعها .

وقد ردت اللجنة على ثمانية استفتاءات . ومن الطريف أن بعض هذه الاستفتاءات ورد من طبقات شعبية ، وهي ظاهرة سارة لما تدل عليه من رغبة هذه الطبقات في استعمال الصحيح من اللغة ، ومن ذلك استفتاء من رئيس نقابة عمال التنجيد ، يسأل فيه عن كلمة « تنجيد » ليستعملوها في تسمية النقابة إن كانت صحيحة أو يدلهم المجمع على صحيح بدلا منها إن لم تكن كذلك ، فأرسل المجمع إليه بصحتها .

الفصص الإنساني :

تنقل الأستاذ محمود تيمور بك في الأسبوع الماضي بين الجامعات الثلاث : جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وجامعة فاروق

بالإسكندرية ، والجامعة الشعبية بدمنهور ، حيث ألقى محاضرات فى « القصص الإنسانى » وقد تضمنت هذه المحاضرات آراء شخصية للأستاذ المحاضر ، بناها على تجاربه وممارسته لفن القصة فتجلت فيها أصالة البحث والتفكير ، وكذلك تعرض فى هذه المحاضرات للكثير من القضايا التى يتنازع فيها النقاد خاصة بالمذاهب الأدبية والفنية فقد ناقش الفكرة التى تنادى بتجنيد القصة للاصلاح الاجتماعى وتناول الأعمال الفنية للآراء والمشكلات القومية — مناقشة دقيقة خلص منها إلى القول بأن إجراء ذلك عبث بالفن ، وأن الكاتب إن لم يكن حراً طليقاً فلا صدق فى فنه ، وأنه إذا كان صادقا قوى الإلهام واستطاع أن يحس إحساسا عميقاً بمبدأ من المبادىء أو مشكلة من المشكلات ، استطاع أن يعبر عنها في عمل فنى يجد فيه المصلح الاجتماعى تأييداً لقضية الإصلاح أو تعزيزاً لمبدأ من المبادىء . فأما أن يتكلف الكاتب معالجة إحدى هذه المشكلات أو يذعن لرغبة من الرغبات الخارجية فى هذا الصدد ، فإنه يكون متكلماً كاذباً على نفسه وعلى الإلهام الفنى .

وكان فيما تناولته المحاضرة حديث عن التاريخ بين العالم والفنان ، وقد شرح الفرق بين موقف المؤرخ والقصاص من أحداث التاريخ ومشاهده ، فقال إن العالم مضطر أن يذعن للحقائق ويتحرى دقة الأرقام وصدق الوقائع ، فأما الفنان فإنه يقرأ هذه الحقائق ويتمثلها ، ثم يترك لوحيه الفنى أن يلهمه صورة لا تكذب على التاريخ برسومها وأعلامها ، ولكنها ليست ترجمة تاريخية مبنية على وقائع ، ثم قال إن المؤرخ العالم قد يقرب من المؤرخ الفنان إذا اصطبغ أسلوبه وتصويره بصبغة فنية ، وكذلك المؤرخ الفنان قد يقرب من المؤرخ العالم إذا التزم الدقة التاريخية جهد الإمكان ، ولكن الذى لا شك فيه أن مهمة كل منهما تختلف عن مهمة الآخر وأن النظرة إلى كل منهما يجب أن تكون نظرة خاصة وأن تقدر عملهما على هذا الاعتبار .

وقد أفاض المحاضر القول فى مذهب ما وراء الواقع وأثره فى القصة الفنية وفى الرسم والرقص والموسيقى ، وقال إن هذا المذهب يستمد من العقل الباطن ويجب أن يكون له رقيب من العقل الواعى وإلا كان كالبركان يقذف بالحم وكالعباب يطغى موجه إلى حد الإغراق .

وختم الأستاذ تيمور بك محاضرته بالإشارة إلى أن القصة الخالدة هى القصة التى يتوافر حظها من العناصر الإنسانية الثابتة بغرائزها وطبائعها ، والتى لا تقتصر على جاذبية اللون المحلى والموضوعات الوقتية ، والتى لا تعتمد على قضايا المنطق والحكمة ولا تؤثر الوعظ المباشر والنصح الظاهر والتأييد المكشوف للقضايا الاجتماعية . ثم ألمع إلى أن خير الطرق فى تربية النشء بالقصة هو أن نضرب صفحاً عن الأمثال والمواعظ الجامدة التى لا يحس الناشىء أثرها فى واقع الحياة ، وأن نستعيض عن ذلك بقصص إنسانية تربى فى النشء فطنة وتبصراً بالحياة التى يعيشها فلا يعرف حين يمارس هذه الحياة أن أصحاب الأمثال والمواعظ كانوا يتكلمون عن عالم لا صلة له به ولا وجود له فى حياته .

الاتجاهات الاجتماعية فى العالم العربى :

كان موضوع « الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة فى العالم العربى » أو بعبارة أدق كان استيفاء الكلام فى هذا الموضوع ، آخر حلقة فى سلسلة « العالم كما هو اليوم » التى نظمها قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية ، فمنذ أسابيع تحدث فيه الأستاذ محمد صلاح الدين بك ، وأوردنا خلاصة حديثه فى حينه ، وكان كله فى الاتجاهات السياسية ، أما الشق الثانى من المحاضرة وهو الاتجاهات الاجتماعية فقد ضاق عنه الوقت فى المرة الأولى ، فكان موضوع الحديث الذى ختمت به السلسلة فى يوم الجمعة الماضى بقاعة بورت التذكارية .

قال إن الهدف الذى يرمى إليه العالم العربى الآن هو التمتع بالاستقلال والحرية ، والتمتع بالحياة الدستورية الديمقراطية التى تقوم على سلطة الأمة ، وتهدف إلى أن تحيا الأمة حياة إنسانية كريمة ؛ والعالم الآن تسوده مبادىء اجتماعية ، هى فى نفس الوقت اقتصادية ، يقصد بها تحقيق سعادة الناس ؛ وهى الرأسمالية التى تمثلها أمريكا ، والشيوعية التى تتمثل فى روسيا ، والاشتراكية كما تطبقها الحكومة البريطانية ، ومدار الخلاف بين هذه المبادىء على الإنتاج والتوزيع . فالرأسمالية تقوم على الحرية فى السعى وترك ثمرات العمل لأصحاب الجهود ، والمبدأ الشيوعى يجعل المجموع الذى تمثله الحكومة يملك كل شىء ، وتوزع المنتجات على الجميع ، ولكن هل تقسم بالمساواة المطلقة ، أو على حسب الحاجة ؟ الواقع أن ما يجرى فى البلاد الشيوعية يحجبه « الستار الحديدى » الذى يمنع تسرب الأخبار الحقيقية ، على أنه يؤخذ

مما يرد من الأخبار أن الملكية الآن فى روسيا موجودة فى غير أدوات الإنتاج ، كالمنازل والأثاث ، أما أدوات الإنتاج كالأراضى الزراعية والمصانع ، فلا يملك الأفراد شيئاً منها ؛ وكل يأخذ على حسب جهده ، ورجال الفكر وأهل الفنون هم أحسن الجميع حالا لكثرة مكاسبهم . وأما الاشتراكية المتدلة فهى التى تطبقها الحكومة البريطانية وهى طبعاً تقر الملكية الفردية ، ولكن مبادئها تتمثل فى تأميم بعض المرافق ، أى تنظيم الحكومة له وقيامها عليه ، وبقية المرافق يقوم بها الأفراد والشركات ، كما تتمثل فى رعاية الحكومة للطبقات الفقيرة وفرض الضرائب التصاعدية وغير ذلك .

وبعد أن أفاض المحاضر فى شرح تلك المبادىء من الوجهة العملية وبيان ما يؤخذ على الرأسمالية وما تعاب به الشيوعية قال : تتسرب أخيار هذه المبادىء إلى مصر وإلى سائر البلاد العربية ، فتشغل الأذهان بالتفكير فى أيها يصلح أن يقوم عليه النظام الاجتماعى عندنا . وأسلم سبيل أن نسعى وراء أمر واحد ، هو العدالة الاجتماعية ، فنسعى لرفع مستوى الحياة عامة ، وتحقيق العدل بين الطبقات ، ونستطيع أن نضع خطوطاً عامة لتحقيق العدالة الاجتماعية فيما يلى :

١ — التخلص من السيطرة الأجنبية التى هى سبب ما نحن فيه من جهل وفقر ومرض .

٢ — تقريب مسافات الخلف بين الطبقات بمختلف الوسائل كالضرائب التصاعدية وتحسين أحوال الطبقات الفقيرة .

٣ — ضمان العمل لكل مواطن ورفع الأجور ووضع حد أدنى لها بحيث يكسب العامل ما يقوم بجميع حاجاته .

٤ — أن نعطى المواطنين فرصاً متساوية ، وذلك بتعميم التعليم والتداوى ، بحيث يكون كل منهما ميسوراً لكل فرد من أبناء الأمة .

٥ — الضمان الاجتماعى بجميع أنواعه ، كالتأمين من العجز عن العمل والشيخوخة ورعاية من يتركهم المتوفى من الأولاد وغير ذلك .

وحذر فى ختام المحاضرة من الاستجابة للدعوات الهدامة لما فيها من خطر التدخل الاستعمارى ، إلى مخالفتها للأديان ونظام الأسرة ، وإلى ما تؤدى إليه من الحجر على الحرية العامة بالنسبة للأفراد ، لأن الحكومة فيها هى صاحبة الحرية المطلقة ؛ ودعا إلى التزام الحيدة فى المبادىء الاجتماعية وفى السياسة العالمية .

تعقيب :

ومما يلاحظ أن المحاضرين الآخرين فى الاتجاهات السياسية والاجتماعية فى البلاد العربية ، كانوا يصفون الاتجاهات « الحاضرة » أما صلاح الدين بك فقد كان مجاله — كما رأيت — شرح المبادىء العالمية ، وبيان ما يجب أن تكون الحال عليه عندنا ؛ ويخيل إلىّ أنه عمد إلى ذلك فراراً من حرج الكلام فى حالنا التى تبلغ غاية السوء ، وماذا يقول ؟ إن جميع تلك المبادئ تضع رفع مستوى المعيشة العام فى مقدمة ما تعنى به ، فأين نحن حتى من الرأسمالية الأمريكية ؟! ولو أن باحثاً أراد أن يعرف المبدأ الاجتماعى الذى نسير عليه ، لما وجد له غير اسم واحد ، هو « الظلم الاجتماعى » .

الشروق :

أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفى فى الأسبوع الماضى ديوانه الجديد « الشروق » والأستاذ الصيرفى من رواد الشعر الحديث ، له « سلوك شعرى » خاص فهو لا يقول فى المناسبات وقل أن يشترك فى الحفلات ، لا ينظم إلا بالدوافع الشعرية الخالصة ، وهو يدع شعره يسير بنفسه فلا يدفعه بما يدفع به بعض الناس أشعارهم . وديوان الشروق من القليل الذى يثبت وجود الشعر فى هذه الآونة .

العباسى

إدارة البلديات العامة — كهرباء

تقبل المطاءات بمجلس بنى سويف البلدى حتى ظهر يوم ٢ يونية ١٩٤٨ عن توريد أدوات كهربائية وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليما نظير مبلغ ١٠٠ مليم للنسخة خلاف أجرة البريد .

٩٣١٣

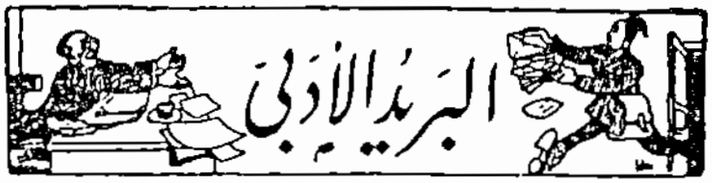

معرض الرسام زهدي :

أقام الرسام زهدى معرضاً فى نادى الصحفيين هذا الأسبوع تحت رياسة الوزير العالم معالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا عرض فيه سلسلة من الرسوم تمثل الوقائع المتتابعة للتاريخ المصرى والعوامل التى سيطرت على توجيهه منذ الحملة الفرنسية حتى نهاية حكم إسماعيل باشا ، وليس هذا فى الواقع بالعمل الهين ، فإنه اتجاه يقتضى الدراسة والإستيعاب والإندماج الروحى فى جو ذلك التاريخ حتى يمكن أن ينفعل إحساس الفنان بحقائقه واتجاهاته فيرسمها بريشته وكأنها أجسام حية ناطقة تتمثل مشاهدها للنظر والفكر .

والتعبير عن الحقائق التاريخية بقلم المؤرخ أسهل بكثير من التعبير عنها بريشة الرسام ، لأن المؤرخ يسرد لك الوقائع على ما تؤدى إليه المقدمات من نتائج ، وتدل عليه الإتجاهات من حقائق ، أما الرسام فإنه لابد أن يعرض عليك فى هذا شيئاً يستوقف النظر ويثير الإحساس ويوحى إلى الذهن ، وهذا كله ما وفق إليه ذلك الرسام المصرى المؤمن بفنه وبوطنه وبفكرته .

وحقائق التاريخ حين تظهر فى معرض الفن تكون أروع مظهراً وأشد تأثيراً وأبقى على الزمن وأخلد ، فإننا ما نزال نتغنى بحروب الإغريق ووقائعهم التاريخية ، لا كما دونها المؤرخون ، بل كما أنشدها فى القديم شاعر ضرير إسمه هوميروس .

لهذا كان اتجاه الرسام زهدى إلى تصوير حقائق التاريخ المصرى ووقائعه فى فترة من فترات التطور أجل خدمة نحو قوميتنا ونحو تاريخنا يؤديها الفن ، ولقد تجلت فى رسومه دراسة المؤرخ وتمحيصه للحقائق ، إلى جانب ما تجلى من روعة الفن وبراعته . وإن من الواجب على وزارة المعارف أن تضع يدها على هذه الرسوم التى تمثل تاريخنا الحديث أروع تمثيل ، فتضمه فى كتاب إلى طلاب المعاهد والمدارس وأبناء الوطن ، وبهذا تؤدى ما قصد إليه ذلك الفنان البارع من خدمة التاريخ المصرى والقومية المصرية .

لو أن فناناً أجنبياً عرض على وزارة المعارف مثل هذا العمل لوقفت أمامه خاشعة وقامت له مهللة ، ويفتح فى الميزانية اعتماد ضخم لإخراجه .. ولكنه اليوم عمل فنان مصرى صميم كأروع ما يجب أن يكون ، فهل آن لنا أن نؤمن بالنبوغ المصرى فنؤازره وننتفع به ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

النحو الجديد :

أخرجت دار الفكر العربى فى هذه الأيام كتاب النحو الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، فكان فتحاً جديداً فى باب التجديد ، لأنه قلب نحو سيبويه رأساً على عقب ، وأصابه فى الصميم من أصوله وفروعه ، ودل بهذا على أن دعاية التجديد بيننا ليست جمجمة لا طحن لها ، وإنما هى حركة ستتناول الصميم من علومنا ، وستعيدنا علماء نجتهد ونجدد كما كان يجتهد ويجدد علماؤنا الأولون ، ولا شك أن جمود علومنا القديمة هو الذى يقعد بنا جميعاً عن النهوض ، لأن التكاسل يعدى ، كما قال الشاعر :

تشاءب عمرو إذ تشاءب خالد بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

لقد ابتدأ كتاب النحو الجديد بدراسة محاولات التجديد الحديثة فى قواعد النحو ، فدرس المحاولة الأولى للأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتاب إحياء النحو ، وفى رد الأستاذ محمد عرفة عليه فى كتاب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، ثم درس المحاولة الثانية فى تقرير اللجنة التى ألفتها وزارة المعارف لتيسير تدريس قواعد اللغة العربية ، وفى تقرير اللجنة التى ألفت بدار العلوم للرد عليها ، ثم درس المحاولة الثالثة المؤلف فى تيسير قواعد الإعراب بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٨ م ، ثم درس المحاولة الرابعة للأستاذ أمين الخولى فى تذليل اضطراب الإعراب والقواعد ، ثم درس المحاولة الخامسة للأستاذ شوقى ضيف فى إلغاء نظرية العامل لابن مضاء القرطبى فى كتاب الرد على النحاة

ثم ختم هذه الدراسة التى تسجل أعظم ثورة على نحو سيبويه بوضع آجرومية جديدة للنحو ، وهى آجرومية تراعى غاية النحو الكبرى من تمثيل الإعراب لمعانى الجمل العربية ، وقد حذفت على هذا الأساس كل حشو فى النحو ، كباب البناء وباب الاشتغال ، ثم أضافت أبواباً منه إلى أبواب ، لأن التفرقة بينها تخرج بالنحو عن غايته من تمثيل الإعراب للمعانى ، وقد حققت مع هذا ما أرادته وزارة المعارف من تيسير قواعد الإعراب

(ص)

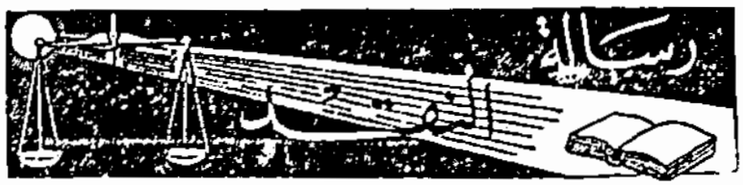

« طفولة نهـــر »

لنزار قباني

للأستاذ أنور المعـــداوي

نزار قباني ؟ . . أين كان هذا الشاعر وأين كنت ؟ ! ما أكثر ما يقع في يدي من دواوين الشعر في هذه الأيام ، فلا أكاد أقبل عليها حتى أعرض عنها . . إلا هـذا الديوان ! لقد لقيت صاحبه منذ شهر لأول مرة ، وأسمعني بعض شـعره لأول مرة ، ولم أشأ يومئذ أن أقطع برأي في فنه خشية أن يكون قد قدم إلى خير قصائده . . أما الآن ، فأستطيع وأنا مطمـئن أن أقدم هذا الشعر إلى الناس . . وأن أقدم صاحبه .

وقبل أن أضع هذه المجموعة الشعرية فوق مشرحة النقد ، أقول إنها تثير مشكلة طال حولها الجدل وسوف يطول ، ما دام هناك أناس ينشدون الفن للفن ، وأناس ينشدون الفن للمجتمع . أما أولئك فهم الذين يفهـمون الفن وأصوله ، وعلى أي الدعائم يجب أن تقام . وأما هؤلاء فلا يريدون للفن إلا أن يسير في ركاب المجتمع ولو تنفس برئتين صناعيتين ، غافلين عن أن رسالة الفن ما هي إلا صدق التعبير عن الحياة ، التعبير عما فيها من جمال وقبح من تناسق وشذوذ ، من خير وشر ، من حرية وقيود !

يقول من لا يفهمون رسالة الفن إن « طفولة نهر » ما هو إلا صلوات فكر في محراب الجسـد ، أو صلوات روح ، أو صلوات شعور . . وسأقول أنا إنه صلوات فن ؛ وحين يرتفع صوت الفن بالصلاة يجب أن تخمـد كل الأصوات ! إن الدفاع هنا ليس دفاعاً عن صاحب هذا الشعر ولكنه دفاع عن الفن . . إن الفن الصادق لا يعرف القيود ، ويوم يتشح الفن بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعي فقل إنه قد انحرف عن الجوهر الأصيل في رسالته ، وهو أن يعبر عن الحياة فيصدق في التعبير ! . . عش في أعماق الحياة ، واستخدم كل حواسك في تذوق هذه الأعماق فإذا استطعت أن تعبر في صدق عن انعكاس الحياة على حواسك ووقعها على شعورك فقد أنتجت فناً ؛ وبهذا المقياس نستطيع أن ننظر إلى « طفولة نهر » وإلى كل أثر فني تبدعه القريحة ! لقد كنت أود أن أطيل الدفاع عن رسالة الفن ، ولكن الشاعر سبقني فدافع عن شعره في كلمات صادقة حين قال : « الشعر يحيط بالوجود كله . . وينطلق في كل الاتجاهات فترسم ريشته المليح والقبيح ، وتتناول الترف والمبتذل ، والرفيع والوضـيع . . ويخطىء الذين يظنون أنه خط صاعد دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمة الفن ، بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق . . وأنا أؤمن بجمال القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الاثم ، وهي كلها أشياء صحيحة في نظر الفنان . يقول كروتشه في نقد المذهب الأخلاقي في الفن : إن العـمل الفني لا يمكن أن يكون فعلا نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استبعاد ألم ، لأن الفن من حيث هو فن لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظ من قديم الأزمان أن الفن ليس ناشئاً عن الإرادة ، ولئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير فليست قوام الإنسان الفنان ؛ فقد تعبر الصورة عن فعل يحمد أو يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هي صورة لا يمكن أن تحمـد أو تذم من الناحية الأخلاقية ؛ لأنه ليس ثمة حكم أخلاقي يمكن أن يصدر عن إنسان عاقل ويكون موضوعه صورة . إن الفنان فنان لا أكثر ، أي إنسان يحب ويعبر . ليس الفنان من حيث هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ، ولا أخلاقياً . وقد تنصب عليه صـفة التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً هو التـكافؤ التام بين ما ينتج ، وما يشعر به »

لقد وفق نزار قباني في عرض قضية الفن في هذه الكلمات الصادقة التي تخيرتها من كثـير . وحين استشهد برأي كروتشه ، وهو رأي يقطع خط الرجعة على الرجعيين . . وحين نفذ إلى مكامن الهدف بهذه الإصابة البارعة في قوله : « ولو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقية في الفن لمات الفن مختنقاً بأبخرة المعابد . . ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التي نحتها ميشـيل أنجل ، والصور البارعة التي رسمها رفائيل ، لأنها إثم يجب ألا تقع عليه العين ؛ ولو ذهبنا مع أشياع هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نخرج من حظيرة الشعر الجيد قصيدة النابغة التي قالها في زوجة النعمان

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

ولكان علينا أن نملن النابغة ، ونعتبره ضالا لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره ! »

أنا مع نزار قباني ولو وقفت وحدي إلى جانبه ، وسأصغي إليه بكل جوارحي حين يهمس في قصيدته « حلمة » :

يا حرف نار سابحاً في بركتي عطور
يا كلمة مهموسة مكتوبة بنور
حمراء ، بل حمراء ، بل لونها شعوري
أم قبلة تجمدت في نهدك الصغير
مظلة شقراء فوق قسوة الهجير
إبريق وهج عاتق يهضبتي مرور
أم أنت شباك هوى مطرز الستور
فراشة محروقة الجنح على غدير
دافئة كأنها . . مرت على ضميري

هكذا تمضي أوزانه وقوافيه ، متفقة والجو الذي يتنفس فيه شعره ، جو الأوزان القصيرة والقوافي الراقصة ، أما الصورة الوصفية فتستمد بذورها من خصوبة الحقل الشعري واتساع مداه . . . ومن هنا تستمد الوثبة الشعرية قوتها من وثبتين أخريين ، هما الوثبة الشعورية والوثبة الموسيقية .

تعال نستمع له مرة أخرى في قصيدته « وشوشة » :

في ثغرها ابتهال يهمس لي تعال
إلى انعتاق أزرق حدوده المحال
نشرد تياري شذا — لم يخفقا ببلال
لا تستحي فالورد في طريقنا تلال
ما دمت لي مالي وما قيل وما يقال !
وشوشة كريمة سخية الظلال
ورغبة مبحوحة أرى لها خيال
على فم يجوع في عروقه السؤال

هنا ظلال من النفس تلتقي بظلال من الحياة ، وبضوء من هنا وضوء من هناك يتم العمل الفني ، مستمداً خطوطه من التجربة الشعورية ؛ من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . . أرأيت إلى الرغبة المبحوحة ؟ الرغبة التي تتزى فلا تقوى على على الانطلاق ؟ الرغبة التي تريد أن تهتك حجب الصمت ولكنها بحت من التردد والتهيب والإحجام ؟ الرغبة التي لم يبق منها على الفم والإخيال يلوح ثم يختفي ؟ وأي فم ؟ فم يجوع السؤال في عروقه . . ولا يبوح !

ويحلق الفكر في آفاق من رهبة الفناء ، وتهوم الروح في أودية النسيان التي يبلى فيها كل جديد ، ولكنها تهويمات لا تخلو من يقظة تومض تحت الرماد ، وتلتمس العزاء في خدعة الخلود . . . وتكتمل الألوان في الصورة المنتزعة من معرض الحياة . أما الإطار فمن صنع الخيال السامح وراء الوهم ، التشوق إلى ارتياد المجهول ، وتمضي التجربة الشعورية إلى منتهاها حيث يقول في قصيدته « سؤال » :

تقول : حبيبي إذا ما نموت ويدرج في الأرض جثمانا
إلى أي شيء يصير هوانا أيبلى كما هي أجسادنا ؟
أيتلف هذا البريق العجيب كما سوف تتلف أعضاؤنا ؟
إذا كان للحب هذا المصير فقد ضيعت فيه أوقاتنا !
أجبت ومن قال إنا نموت وتنأى عن الأرض أشباحنا ؟
سنحيا . . وحين يعود الربيع يعود شذانا وأوراقنا
إذا يذكر الورد في مجلس مع الورد . . تسرد أخبارنا !

وحين يطول الانتظار ، ويعصف القلق بجمال الرؤى والطيوف ويتوثب الشوق الملح إلى القادم الممعن في إبطائه ، تكون النفس الإنسانية في ارتقابها ولهفتها قد أنكرت كل شيء ، وكفرت بكل شيء . . . استمع له يصف لحظة انتظار :

جمت وجاع المنحدر ولا أزال أنتظر
أنا هنا وحدي على شرق رمادي الستر
مستلقياً على الذرى تلهث في رأسي الفكر
وأرقب النوافذ الزرق على شوق كفر

هل أحسست الفكر حين تلهث ، والشوق حين يكفر ؟ ! وحين يقبل الحبيب الغائب ، تقبل معه الدنيا ، وتقبل الذكريات تشق طريقها من وراء الزمن . . . ويقبل الصبا بجنونه وأحلامه وأوهامه :

قالت صباح الورد .. هذا أنت صاحب الصغر
ألا تزال مثلما كنت غلاماً ذا خطر ؟
تجملني على الثرى لعباً . . وتقطيع شعر
فإن نهضنا كان في وجوهنا ألف أثر !
قلت لها الله ما أكرمها تلك الذكر !
أيام كنا كالعصافير ... غناء وسمر

تسابق الفراشة البيضاء ... ثم تقتصر
وتكسر النجوم ذرات ... وتحمى ما انكسر
فيستحيل حولنا الغروب شلال صور ...
حكاية نحن ... فعند كل وردة خبر

إن مرة سئلت ، قولى : نحن دورنا القمر !

هنا وفى كثير من القصائد الأخرى انزار قبانى ، نلمس أن اكتمال الوحدة الفنية مرجعه إلى تسلل التجربة الشعورية ، وتناسق الظلال المنعكسة من النفس والحياة .

وأود أن ألفت النظر إلى أن هذا الشاعر يصوغ معانيه أحياناً فى ألفاظ قد تبدو لأصحاب المدرسة المادية فى التعبير وكأنها قد استخدمت فى غير مواضعها ؛ وهى تبدو لهم كذلك لأنهم يعيشون فى رحاب الظلال المادية للألفاظ ، ولو عاشوا فى رحاب ظلالها النفسية لوجدوا كل شىء فى موضعه من الشعر ، لأنه فى موضعه من الشعور ... إن الشعر ما هو إلا ترجمة صادقة للشعور الصادق ، فلا ضير من أن يستخدم فيه اللفظ الذى تتفق ظلاله وظلال النفس ، وتتسق إيحاءاته مع منطق الإحساس ! ومهما يكن من أمر فإن لمشكلة الظلال النفسية والمادية فى اللفظ قضية شغلت القدماء كما شغلت المحدثين ، وهى قضية سنعرض لها فى مقال نتناول فيه بالنقد أصحاب المدرسة المادية فى التعبير قديماً وحديثاً أولئك الذين لا ينظرون إلى الألفاظ إلا من خلال هيا كلها العظمية!

كل ما آخذه على صاحب « طفولة نهد » ، هو تلك القوالب النثرية التى يصب فيها شعره أحياناً ، وما يرد فى بعض أبياته من ألفاظ ابتذلت من كثرة الاستعمال ، مما يعصف بجمال القالب الشعرى ، ويذهب بأثر الإيقاع الموسيقى . استمع له مثلا فى هذين البيتين :

ما دمت لى سر السماء معى وهذه الأقمار أقمارى
وأنجم السماء لى مئزر وفوق جفن الشرق مشوارى

إن كلمة « مشوارى » هنا كلمة سوقية لا تتفق أبداً وهذا الجو الشعرى الذى عاشت فيه ، ولو وردت فى النثر لما استسغتها ، فما بالك بالشعر ؟

واستمع له مرة أخرى فى هذين البيتين :

هو الدفء لا تذعرى إن رأيت قميصك نهب تدفع قه
فما عدت يا طفلتى طفلة سيهمى الشتا فيمة بعد فيمه

نهب تدفع قة ؟ ! . إضافتان ثقيلتان على السمع ، لا تكاد تطيقهما الأذن المادية ، فما بالك بالأذن الموسيقية ! ألا تحس هنا أن القالب قد بدأ أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ؟

واستمع له مرة ثالثة فى هذين البيتين :

انى تحارير الهوى وأمضى أنا فى السحاب وأنت فى الأرض
غورى مع الشيطان لا أسف ولتبتلعك زوابع البغض

لست أدرى كيف تحتمل الصياغة الشعرية كلمة « غورى » هذه .. لقد اهتز صرح الجمال الفنى فى البيتين تحت وطأة هذه الكلمة !

مآخذ قليلة كنت أرجو أن يخلو منها هذا الديوان ، ومهما يكن من أمر فإنها لا تمنعنى من القول بأن نزار قبانى شاعر .. وشاعر موهوب .

أنور المعداوى

ظهر حديثاً كتاب :

من يوميات محام

مجموعة ٢

للأستاذ عبده حسن الزيات

المحامى لدى محكمة النقض والإبرام

ثمن النسخة ٢٠ قرش

المؤلف أيضاً :

من يوميات محام (مجموعة أولى) ٤٥
سعد زغلول من أقضيته ٣٠
حكايات من الهند (مجموعة أولى) — ترجمة نفدت
حكايات من الهند (مجموعة ثانية) — ترجمة ١٧
حكايات من الصين ترجمة ١٠
اللصوص لشللر ترجمة ... ... نفدت

تطلب من جميع المكتبات

ومن مكتب المؤلف بشارع ابراهيم باشا رقم ١٠ بالقاهرة

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ الزيات

نفدت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب

أما الطبعة التي تباع الآن في البلاد العربية

فاحترس منها

أنها طبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتحريف

والتشويه زيفها أهل الكتبيين في القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريباً

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما في العصرين العباسي والحديث

مبـــــادئ

في القضاء الشرعي

للأســـتاذ الزين القاضي

كتاب يفيد القاضي والمحامي

وكل مشتغل بالحقوق والفقه

يقع في ٤٦٠ صفحة من القطع المتوسط

ويطلب في القاهرة من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب

ومن المنصورة من الأستاذ علي عبد الله

بمكتبة الشامي وثمنه ٣٠ قرشاً عدا البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يوجه نظر الجمهور إلى التعديلات التي أدخلت على بعض قطارات الاكسبريس والركاب بمناسبة فصل الصيف والتي ستنفذ ابتداء من أول مايو سنة ١٩٤٨ كالمبين بالجداول التي ستعلق بالمحطات والمعدة للبيع بمكاتب صرف التذاكر.

المدير العام

عبد المجيد بدر